دور إعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ترقية اللغة العربية

03

بسم الله الرحمن الرحيم
هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ
البصائر
لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا
أسست في أول شوال 1354 هـ الموافق 27 ديسمبر 1935م

بــــلاغ إلى القــراء

حرصا منا على تحسين توزيع جريدة البصائر ووصولها إلى أكبر قدر ممكن من القراء، ندعو جميع القراء الكرام وأعضاء شُعب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الولائية والبلدية إلى تبليغنا في حالة عدم وجود الجريدة في أكشاك أحياءهم بالاتصال على الأرقام التالية :

06 60.73.28.55 / 05 52.26.13.45 / 021 49.51.19

الاثنين 15 - 21 رجب 1436 هـ /04 - 10 ماي 2015 العدد: 754 الثمن: 20 دج موقع جريدة البصائر: www.albassair.org / البريد الإلكتروني: info@albassair.org / info.bassair@gmail.com / موقع الجمعية: www.oulama-dz.org

الناطــق الرسمي باسم ملتقى الشيخين : التهامي مجوري

● الجمعية ليست مجرد جماعة دينية، وإنما كانت ولا زالت حركة إصلاحية، ذات أبعاد حضارية عميقة.

● إن أبناء الجمعية لا يشعرون أن بين أيديهم مشروعا متكاملا يمكن إعادة صياغته من جديد.

على بصيرة

أ د. عبد الرزاق قسوم
رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الشيخــان في تــراثنا

تضرب الجزائر العميقة، موعدا مع التاريخ في ملتقى الشيخين الدولي، بمبادرة من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وذلك أيام 17/18/19 رجب 1436هـ الموافق لـ 6/7/8 ماي 2015م.

إن الجزائر ببعدها الحضاري، ستكون على موعد في هذا اللقاء، الذي هو لقاء الوفاء للعلماء الأصلاء، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، مع صفوة الوطن والأمة، لتربط الأجيال اللاحقة بالأجيال السابقة.

ومن غير الشيخين الجليلين الإمامين عبد الحميد بن باديس، ومحمد البشير الإبراهيمي، أحق بالوفاء، بما أنفقوا من جهد، وما قدموا من تضحيات. والشيخان، مصطلح أصيل في ثقافتنا الإسلامية، يضرب بعمق في جذور تراثنا العربي الأصيل.

فقد عرف صدر الإسلام مصطلح الشيخين مجسدا في شخص الخليفة الأول أبي بكر الصديق، أول المؤمنين إيمانا، وثاني اثنين، لرسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أطلق لقب الشيخ في الإسلام، عنوانا للإيمان والعدل والحكمة، على الخليفة الثاني الفاروق عمر بن الخطاب.

فأبو بكر الصديق هو من ركز دعائم الدولة الإسلامية التي أرسى الرسول صلى الله عليه وسلم دعائمها، إذ عزز أركانها، ونشر في المسلمين عنوانها وبنيانها.

طالع 02

الـملتقى الدولـي

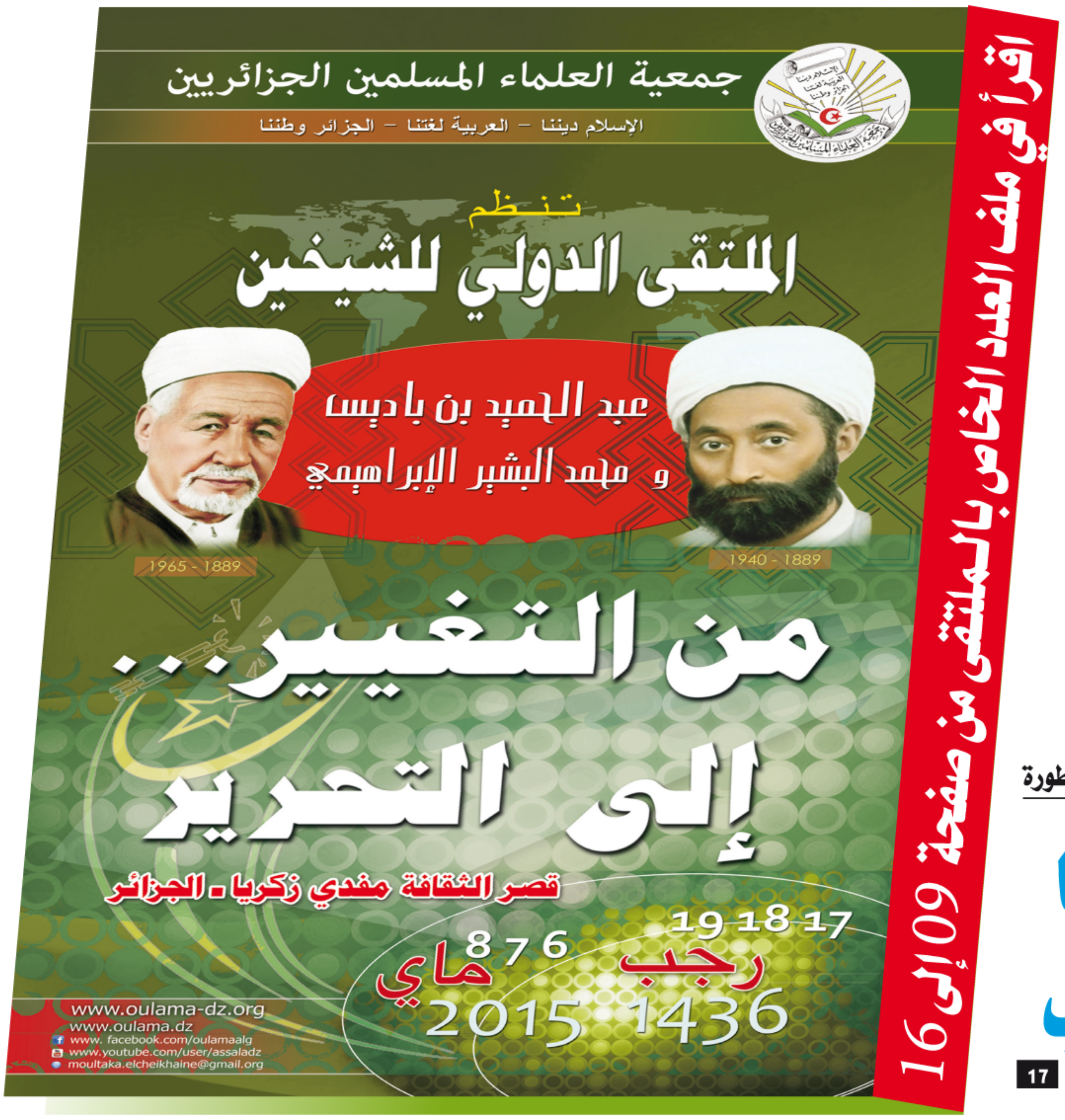
جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
الإسلام ديننا - العربية لغتنا - الجزائر وطننا
تنظم
الملتقى الدولي للشيخين
عبد الحميد بن باديس
و محمد البشير الإبراهيمي
1940 - 1889
1965 - 1889
من التغيير...
إلى التحرير
قصر الثقافة مفدي زكريا - الجزائر
17 18 19
رجب
1436
6 7 8
ماي
2015
www.oulama-dz.org
www.oulama.dz
www. facebook.com/oulamaalg
www.youtube.com/user/assaladz
moultaka.elcheikhaine@gmail.org

اقرأ في ملف العدد الخاص بالملتقى من صفحة 09 إلى 16

اليمين الأوروبي المتطرف والحديث عن أسطورة

أسلمة أوروبا وأسلمة الغرب

17

الندوة السنوية لإطارات حركة النهضة

الممارسة السياسية : إدراك للواقع واستشراف للمستقبل

شهدت تعاضدية عمال مواد البناء بزرالدة يوم الجمعة 12رجب 1435هـ الموافق لـ1ماي 2015م، افتتاح الندوة السنوية التي تقيمها حركة النهضة لإطاراتها بعنوان: «الممارسة السياسية: ادراك للواقع واستشراف للمستقبل»، فبعد تلاوة مباركة من الذكر الحكيم، والاستماع للنشيد الوطني، افتتحت الندوة بكلمة للسيِّد لعلاوي بلمخي عضو المكتب الوطني المكلف بالعلاقات والشؤون السياسية، حيث ركّز المتحدث عن الرؤية التي تسعى الحركة من خلالها بناء تصور جاد وسليم للممارسة السياسية انطلاقاً من أساس المشروع الإسلامي الذي تستند إليه الحركة في رؤيتها السياسية، ورحب الأستاذ بلمخي بالمفكر الإسلامي القطري جاسم سلطان، الذي سيقوم بتأطير هذه الندوة خلال يومين»-01 02 ماي 2015م»، كما رحب بالأمين العام السابق للحركة الأستاذ فاتح ربيعي، ومناضلي الحركة وضيوف الندوة، ثمَّ أعطيت الكلمة للأستاذ محمد ذويبي الأمين العام الحالي لحركة النهضة، حيث رحَّب بدوره بالضيوف وإطارات ومناضلي حركة النهضة، كما خصّ ضيف الحركة الدكتور جاسم سلطان بالترحيب الشديد، وقال الأستاذ ذويبي: «اسمحوا لي...أن أرحب باسمكم جميعاً بضيف عزيز علينا قدم إلينا من دولة قطر الشقيقة متحملاً عناء السفر ليفيدنا في ندوتنا التكونية..» وتابع الأستاذ ذويبي حديثه عن فكرة الندوة التي نسعى الحركة من خلالها الوصول إلى مفهوم أصيل للفعل السياسي حيث يكون المجهود القائم على ترقية حياة الفرد والمجتمع والدولة، أساس الممارسة السياسية، لأنَّ التعاطي السياسي في ظلّ السلطة الحالية أفقد هذا الفعل كلَّ القيم النبيلة التي تقوم عليها الممارسة السياسية حيث تحول الفعل السياسي إلى حالة من العبث في الإدارة والمسؤولية، وأردف قائلا:

المكتب الوطني
ينظم : الندوة السنوية للإطارات
تحت عنوان
الممارسة السياسية : إدراك للواقع واستشراف للمستقبل

«..ان الممارسة السياسية في جزائر اليوم: حق وواجب حق لأن من حقوق المواطن الأساسية المشاركة في تسيير الشأن العام.. وهي واجب..لتجاوز سلبيات ونقائص الوضع الحالي للبلاد..»، وقال الأستاذ ذويبي أن هذه الندوة تقام والعالم الإسلامي يشهد وضعا متأزماً تطبع الصرعات والتكالب على خيرات الشعوب، كما أنّ الأقصى يعاني حملات التهويد المنهجة في ظلّ غياب تام لأي دور عربي واضح،وتابع الامين العام للحركة قائلاً: «كما تقام هذه الندوة كذلك ونحن نعيش في ظلّ ثلاث مناسبات هامة: العيد العالمي للعمال، يوم 01 ماي واليوم العلمي لحرية التعبير يوم 03 ماي، وذكري تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يوم 05 ماي عام1931»، وختم كلمته بتجديد الشكر للدكتور جاسم سلطان وللحضور من أبناء الحركة والضيوف، لتنتهي الجلسة الافتتاحية لهذه الندوة.

ع.ق

تتمة ص 01

الشيخان في تراثنا

تضرب الجزائر العميقة، موعدا مع التاريخ في ملتقى الشيخين الدولي، بمبادرة من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وذلك أيام 17/18/19 رجب 1436هـ الموافق لـ 6/7/8 ماي 2015م.

إن الجزائر ببعدها الحضاري، ستكون على موعد في هذا اللقاء، الذي هو لقاء الوفاء للعلماء الأصلاء، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، مع صفوة الوطن والأمة، لتربط الأجيال اللاحقة بالأجيال السابقة.

ومن غير الشيخين الجليلين الإمامين عبد الحميد بن باديس، ومحمد البشير الإبراهيمي، أحق بالوفاء، بما أنفقوا من جهد، وما قدموا من تضحيات. والشيخان، مصطلح أصيل في ثقافتنا الإسلامية، يضرب بعمق في جذور تراثنا العربي الأصيل.

فقد عرف صدر الإسلام مصطلح الشيخين مجسدا في شخص الخليفة الأول أبي بكر الصديق، أول المؤمنين إيمانا، وثاني اثنين، لرسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أطلق لقب الشيخ في الإسلام، عنوانا للإيمان والعدل والحكمة، على الخليفة الثاني الفاروق عمر بن الخطاب.

فأبو بكر الصديق هو من ركز دعائم الدولة الإسلامية التي أرسى الرسول صلى الله عليه وسلم دعائمها، إذ عزز أركانها، ونشر في المسلمين عنوانها وبنيانها.

وجاء الخليفة العادل عمر بن الخطاب، فأعلى البنيان، وفتح البلدان، وأقام للدولة مقومات الديوان، وبذلك كان الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب خير مثل يضرب، للتعاون والوفاء، في البناء والإعلاء.

ثم عرف التراث الإسلامي مصطلح الشيخين في عملية جمع السنة على يد البخاري ومسلم.

فالشيخان الجليلان، هما من أنفقا بياضهما وسوادهما، في التدقيق والتحقيق، وفي التمحيص والتلخيص، بوضع أصح كتابين بعد كتاب الله، وهما الصحيحان.

عرف التراث الإسلامي -إذن- مصطلح الشيخين، في تصحيح العقيدة، وتفصيح الحديث النبوي، ليضعا المرجع الإسلامي الذي يعود إليه المسلمون في السراء والضراء.

اتخذ مصطلح الشيخين -إذن- مفهوما موازيا، لعمق الإيمان، وصدق البيان، لقوة الحكمة، ودقة الحنكة.. فأصبحا مثلا للاقتداء، والاهتداء، والاصطفاء.

من هذين النموذجين في التراث التاريخي الإسلامي، قمنا -في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين- بتنزيل المصطلح على عالمين جليلين جزائريين، في التاريخ المعاصر، وهما الشيخان الإمامان عبد الحميد بن باديس، ومحمد البشير الإبراهيمي.

إن استعراض التاريخ الوطني المعاصر من كل باحث منصف، سيجد في ما قدمه ابن باديس والإبراهيمي، من الإنجازات ما يطبع الحركة الوطنية، بطابع العمق والديمومة.

فإذا كان الإمام عبد الحميد بن باديس قد وضع قواعد البناء للتغيير الإصلاحي العميق، فاتسم عهده بعهد البناء والتأسيس، فإن الإمام محمد البشير الإبراهيمي، بفضل موسوعية ثقافته، وعمق حكمته وحنكته، قد عمق معالم الإعلام للبناء، فاتسم عهده، بعهد الإعلاء والتسييس؛ إذ فلسف مصطلح التغيير، وجسد معنى التعمير.

لذلك أمكن القول بأن بصمات الشيخين، وإنجازاتهما ستظل شاهدة وخالدة، على صدق النية، وإخلاص الطوية، وبذل كل جهد وتضحية.

فأعمال الشيخين مجسدة، في هذه الأجيال، الناطقة باللسان العربي الفصيح، والمزودة بالفكر الإسلامي الصحيح.

فلولا الشيخان، بمنهجية جمعية العلماء، ما كانت هذه اللغة العربية، لغة حضارتنا، رائجة بين اللهوات، ولا أصبحت فهومنا الإسلامية الصحيحة، سائدة مجسدة في العبادات والمعاملات.

لهذه المعاني كلها، جاء ملتقى الشيخين -باسم الوفاء- بعد انقضاء خمس وسبعين سنة على وفاة الإمام عبد الحميد بن باديس، وانقضاء خمسين سنة على وفاة الإمام محمد البشير الإبراهيمي.

وإن صفوة علماء الجزائر والأمة الإسلامية، الذين استجابوا لدعوة الجمعية، سوف يكشفون عن كنوز ما تعج به سِيَر الشيخين في كل مجال من مجالات البناء، والإعلاء، مجالات التجديد والتشييد، وبذلك سيكون هذا الملتقى الدولي للشيخين، المعين الصافي، الذي سنستلهم منه معنى العزم والحزم، في مواصلة العمل والبناء، يطبعنا الأمل وحسن الاقتداء.

كما أن تضحيات الإمامين، واستهانتهما بكل العقبات والصعاب، سيشحذ همم وعزائم العاملين في الحقل الإسلامي، في زمن التحديات التي تطبع واقعنا، والانحرافات التي تفسد جوانب حياتنا.

إن الوطن الجزائري اليوم، والأمة العربية الإسلامية، هما أحوج ما يكونان إلى منهج الشيخين، المنهج الذي قامت به جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وثبتت عليه... فالغرس الذي وضعه الشيخان، هو الغرس الذي أخذ ينبت، وتعهده بالسقي والرعاية هو الذي جعله يزدهر ويثبت.

والجزائر -اليوم- وهي تنظم ملتقى الشيخين الدولي، مدعوة، إلى أن تتمسك بمنهجهما، لتبدد به الظلمات الحالكة، وتفتح به الطرق السالكة، وتفضي به على كل الدروب، والعقبات، وأنواع الحواجز والأسلاك الشائكة..

أ. د. عبد الرزاق قسوم
رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

البصائر
لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

المدير مسؤول النشر
أ. د. عبد الرزاق قسوم
رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

● رئيس التحرير:
أ. التهامي مجوري

● نائب رئيس التحرير:
أ. كمال أبوسنة

● سكرتير التحرير :
أ. عبد القادر قلاتي

● المدير التقني :
أ. مصطفى كروش

التحرير :
الهاتف والفاكس :
021.49.51.19
الإدارة :
الهاتف والفاكس :
021.49.52.67
021.23.33.73

الإشهار : الوكالة الوطنية للنشر والإشهار/ 01 شارع باستور - الجزائر.
الطباعة : مطبعة الوسط الجزائر.
رقم الحساب الجاري: 64-2985920
سعر العدد : 20.00دج
الاشتراك النصف السنوي: 500.00دج / الاشتراك السنوي: 1000.00دج
17، شارع محمد مربوش - حسين داي - الجزائر .

التوزيع : الوسط : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: 0550.60.00.38 ★★★ الشرق: KDP 031.92.49.48 ★★★ الغرب: 0550.57.54.55 «S.D.P.O

هيئة التحرير غير ملزمة بتبرير عدم نشر المقالات المرسلة إليها.

حروب الذاكرة .. ورهانات الهيمنة!

أ. عبد الحميد عبدوس *

كان يوم 24 أفريل الماضي (2015) أشبه بيوم الحج المسيحي الأكبر إلى «يريفان» عاصمة أرمينيا، فقد تقاطر قادة الكنائس المسيحية من باباوات، وكرادلة، وأساقفة، وقساوسة، ورهبان من مشارق الأرض ومغاربها، من المنتمين إلى المذاهب الكاثوليكية والبروتستانتية والأرثوذوكسية... بالإضافة إلى رؤساء دول روسيا، فرنسا، صربيا، وقبرص لإحياء ذكرى مجازر الأرمن أثناء الحرب العالمية الأولى في عهد الخلافة العثمانية، وحتى رئيس الكيان الصهيوني اعتقد أنه من المناسب أن يدلي بدلوه في الموضوع، فقد قال عند استقباله يوم الأحد 26 أفريل لزعماء الطائفة الأرمينية في الأراضي المحتلة: «أن الشعب الأرمني كان أول ضحية حديثة للمجازر الجماعية «!

ولعل بابا الفاتيكان فرنسيس الأول أعطى يوم الأحد 12 أفريل، عند ترأسه قداسا احتفاليا بكاتدرائية القديس بطرس في روما، إشارة واضحة بأن المجازر التي ارتكبت تحت حكم الخلافة العثمانية بحق الأرمن ستكون ذكراها المئوية هذه السنة ذات طابع ديني وسياسي بإطلاقه وصف «الإبادة» على تلك المأساة التاريخية وبذلك يكون البابا فرنسيس، أول بابا للكنيسة الكاثوليكية يسمي مذبحة الأرمن «إبادة» بشكل صريح، حيث لم يستخدم أي بابا قبله كلمة «إبادة» في الحديث عن مجازر الأرمن في إطار قداس رسمي، ويبدو بابا الفاتيكان فرنسيس الأول مولعا بالتجوال في منعطفات التاريخ، ولكنه لا يركز اهتمامه إلا على المجازر التي ذهبت ضحيتها مجموعات من المسيحيين!

يتهم عادة السلطان عبد الحميد الثاني بكونه أول من قام بتنفيذ هذه المجازر، ولا يخفى الرمز الديني في هذه الاشارة لكون السلطان عبد الحميد الثاني هو آخر خلفاء الدولة الإسلامية، ولكن الباحث الألماني الدكتور هيسمان كشف الدور الأساسي الذي لعبه حزب الشباب الأتراك الذين لم يكن شعارهم «اللّٰه أكبر» بل «حرية، مساواة وأخوة»... فلم يكن من بين المسؤولين السياسيين، كما يقول، أي متطرف مسلم، كانوا شبابا، درس أغلبهم في باريس حيث اكتشفوا مثل الماسونية، كما ذكر هيسمان أن طلعت بك، وزير الداخلية التركي في العام 1915، كان الرجل المسؤول عن الإبادة الأرمنية، ويحمل درجة ماسونية هي «عميد المشرق التركي الكبير».

عاش الأرمن منذ القرن الحادي عشر في ظل الإمارات التركية المتعاقبة، وكان آخرها الإمبراطورية العثمانية، وقد اعترف بهم العثمانيون كأصحاب ملة معترف بها وكاملة الحقوق، وكانت سياسة السلطان عبد الحميد الثاني حصوصا تعتمد على تقليد أبناء الطوائف غير المسلمة مناصب رفيعة في الدولة العثمانية ويعطيهم التمثيل في البرلمان التركي ويعمل على إكرام وفودهم وإنصافهم من الولاة، وبلغ حرص السلطان عبد الحميد على التودد لأقليات الدولة، أنه لما تعرض عام 1905 لمحاولة اغتيال بتفجير العربة التي كان سيركبها، وتم القبض على الجاني وبعدما تبين أنه أرمني وعضو في إحدى اللجان الثورية الأرمينية المسلحة التي تطالب باستقلال الأرمن، عفا عنه السلطان عبد الحميد حرصا على مشاعر رعايا الدولة، غير أن سياسة تهجير شعوب الدولة العثمانية لم تصبح سياسة ثابتة إلا بعد وصول حركة الاتحاد والترقي الماسونية للحكم والتي يسيطر عليها اليهود، وكانت حكومة الاتحاد والترقي التي كان يرأسها الصدر الأعظم الماسوني (سعيد باشا)، تتشكل من أربعة وزراء يهود والباقي من الماسونيين، وهي التي أتمت عملية تهجير الأرمن.

وإذا كانت المصادر الغربية والأرمينية تقدر أعداد ضحايا المجزرة الأرمينية بما يفوق المليون ضحية فإن المصادر التركية تذكر أن قتلى الأرمن لم يتجاوز الـ300 الف أرمني وتقول أن معظمهم مات بسبب البرد والجوع في ظروف الحرب العالمية الأولى التي جعلت هذه المنطقة عبارة عن جبهات قتال وإغارة..وأن الرقم الذي تقدره المصادر الأرمينية بمليون ونصف مليون أرمني هو رقم مستحيل لأن تعداد الأرمن في جميع أنحاء الدولة العثمانية حسب إحصاء 1914 بلغ مليون و 219 الف أرميني، أما حسب إحصاء مصادر بريطانيا فكانوا مليون و 56 الف أرميني، أما حسب إحصاء اللجنة الفرنسية فكانوا مليون و280 الف أرميني.

دون الدخول في جدل الأرقام، يمكن القول إن قتل نفس واحدة بريئة هو جريمة ومأساة مروعة، ولكن ما هو أشد مأسوية وترويعا أن تتحول أرقام الضحايا إلى مجرد سجل للمتاجرة السياسية، وأن يتم اللجوء إلى الكذب وتزوير التاريخ بسبب المصالح السياسية والأحقاد الدينية، إذ من المقرف أن يتجاهل الرئيس الإسرائيلي، رؤوفين ريفلين، حروب الإبادة والتطهير العرقي التي مارستها العصابات الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني ولا تتحرك مشاعره إلا تجاه مأساة وآلام الشعب الأرميني، ومن العار أن يتذكر بابا الفاتيكان إبادة الأرمن على يد العثمانيين ولا يتذكر مجازر الصليبيين في الشام وبيت المقدس، ولا مساهمة الكنيسة دينيا وعسكريا في غزو الجزائر وما انجر عن ذلك الغزو من مجازر وجرائم لا تضاهيها المجازر التي ارتكبت ضد الأرمن!

* كاتب وصحفي جزائري

دور إعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ترقية اللغة العربية

أ. عبد القادر قلاتي

تتمحور هذه المقالة حول التجربة الإعلامية المتقدمة، التي خاضتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في إطار جدلية الذات والآخر، حيث يتقاسم الصراع أدوات الخصوصية الحضارية وفي مقدمها اللغة، فاللغة هي المعبر الرئيس عن مسألة الهوية، وإذا استعرضنا تجربة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، في دائرة هذا الجدل الحضاري، نجد أنها تجربة قاسية ومكلفة، خاضتها الجمعية باقتدار منقطع النظير، وفي كلّ المجالات؛ في التربية والتعليم، وفي الوعي السياسي والحضاري، وتمكنت بعد فترة وجيزة من تحقيق أهم أهدافها، وهو ربط الشعب الجزائري بهويته وانتمائه الحضاري، وقد جيَّشت لذلك مجموعة من الأدوات والآليات، كان الإعلام في مقدمها حيث أرست قاعدة إعلامية تسربت إلى الواقع الثقافي الجزائري وتركت أثرا واضحا يدركه كلّ باحث حصيف..

من خلال وسائل إعلام الجمعية المعروفة كالشهاب والبصائر وغيرها، نحاول الوقوف عند نصوص ومقالات، نستشف منها هذه الحقيقة، وهو ما أردنا أن نصل إليه من خلال هذه المقالة، وهو ترقية اللغة العربية من خلال إعلام الجمعية..

-01 مكانة اللغة في مشروع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

فالحديث عن تجربة حركة الإصلاح في الجزائر، لا يخرج عن التجربة الرائدة والفريدة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فهي -حقيقة - عنوان هذا المسار الطيِّب الذي سرى في جسد العالم الإسلامي كلّه، وأدى أعظم الوظائف في سبيل تحرير هذه الأمة من ربقة المشاريع الاستعمارية الغربية، نعم إنَّ جمعية العلماء كانت عنوان هذا المسار، مسار حركة التجديد والإصلاح؛ لأنَّ تراثها الخالد ونتاجها الواضح، دلّ على ذلك، وما نعيشه اليوم من مفاهيم تجديدية ورؤى سليمة لحقيقة هذا الدين، ما هو إلاّ تلك الجهود الرائعة والنضالات الكبيرة التي عرفتها الجزائر في عزّ جبروت الاستعمار الفرنسي وأذنابه من بني جلدتنا، ولولا هذه الجهود والنضالات التي مازلنا نقتات منها، لما عرفت الجزائر معنىً للانتماء الحضاري، وأدركت حقيقة صون الذات وإظهار الخصوصية الحضارية، فالمشروع الاستعماري الغربي، سحم كلّ حديث عن الخصوصية والهوية، وابرز للوجود خطاباً حدياً متطرفاً، أعاق مسيرة الشعب الجزائريّ في أن يحيا معاني ومفردات الهوية الحضارية، التي تتمتع بها شعوب العالم آنذاك، وهو ما دفع الشيخ ابن باديس وثلة من العلماء الأفذاذ إلى كسر هذا الحاجز الذي يقف حائلاً دون تحقيق معنى الانتماء الحضاري، فظهرت في لحظة تاريخية فاصلة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حاملة مشروعاً استثنائياً قاطعة حالة الوصل ما بين جمود واستكانة للاستعمار، ووضع جديد بدأ رسمياً يوم 05 ماي 1931م، معلنة للعالم كله وفي مقدمه الاستعمار الفرنسي الغاشم، أنّ الشعب الذي احتفلتم بمرور مئة عام على استعماره واغتصاب أرضه، لم يعد ذلك الشعب المستكين، بل آن الأوان ليقول: «لا» التي تعني أكثر ما تعني في مشروع جمعية العلماء، رفض الجهل والتخلف، وحتىَّ ثقافة المستعَمِر ولغتِهِ، لذا كانت مفاهيم الهوية والانتماء الحضاري والتمسك باللسان والدين، هي مجمل مفردات مشروع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فكان تجسيد هذا المشروع الذي انصب على تحقيق وظائف ثابتة لا تخرج عن إطار التعليم والتثقيف والإرشاد، فعرفت الجزائر وعبر ربوع وطننا الحبيب مدارس التربية والتعليم، في المدن والقرى، وبدأت اللغة العربية -عنوان هويتنا- تزاحم لغة المستَعمِر التي فرضها فرضاً في التعليم والإدارة وكل شؤون البلد، حتىَّ كادت معالم لغة القرآن تضيع من هذه القطعة المهمة من جغرافيا العالم الإسلامي، إلاّ فيما حافظت عليه بعض الزوايا والمدارس القرآنية، من مستوى تعليميّ بسيط أبقى لهذه اللغة بعضاً من معالمها، واتخذت الجمعية مسألة التربية والتعليم مرتكز مشروعها، فأنشأت المدارس الأصيلة التي جمعت بين التربية والتعليم وبين الأصالة والحداثة، فكانت النخب المثقفة ممن حمل لواء بناء الوطن المحرر بعد الاستقلال، أغلبها ممن تلقى تعليمه في مدارس الجمعية.

لقد كانت مسألة اللغة محسومة في فكر الجمعية، فلا حديث عن مفاضلة بين لغة مقتدرة معرفياً وأخرى ليس لها من حظ في تطور العلم الحديث، إلاّ ما كان من غابر عهد قديم، كانت الأمة الإسلامية سيّدة العالم سياسياً وثقافياً، بل الحديث كلّ الحديث بين لغة تمثل هوية هذا الشعب ولغة المستعمر الذي سعى ويسعى لطمس كلّ معلم من معالم الانتماء الحضاري لهذا الشعب، فمنطق الحسم لم يكن اختيارا، بل كان مبدأ أصيلاً تشربه رجال الجمعية منذ تبنوا قضية الإصلاح وعرفوا أدبياته مع مدرسة الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا.

لم تكن اللغة العربية غريبة عن هذه الأرض ولم تكن دخيلة كغريمتها لغة الاستعمار، بل هي كما يصفها العلامة الشيخ البشير الإبراهيمي في مقال له شهير تحت عنوان «اللغة العربية في الجزائر»: «اللغة العربية في الجزائر ليست غريبة ولا دخيلة، بل هي في دارها وبين حماتها، وأنصارها، وهي ممتدة الجذور مع الماضي، مشتدة الأواخي مع الحاضر، طويلة الأفنان في المستقبل، ممتدة مع الماضي لأنّها دخلت هذا الوطن مع الإسلام، على ألسنة الفاتحين، ترحل برحَالهم، وتقيم بإقامتهم، فلما أقام الإسلام بهذا الشمال الإفريقي إقامة الأبد وضرب بجرانه فيه أقامت معه العربية، لا تريم ولا تبرح، ما دام الإسلام مقيما لا يتزحزح، ومن ذلك الحين بدأت تتغلغل في النفوس، وتنساغ في الألسنة واللهوات، وتنساب بين الشفاه والأفواه، يزيدها طيبًا، وعذوبة أنّ القرآن بها يتلى، وأن الصلوات بها تبدأ وتختم».

وقال في مقام أخر بعنوان «التعليم العربي»: «اللغة العربية هي لغة الإسلام الرسمية، ومن ثمَّ فهي لغة المسلمين الدينية الرسمية ولهذه الأمة الجزائرية، حقان أكيدان: كلّ منهما يقتضي وجوب تعلمها، فكيف إذا اجتمعا، حق من حيث أنها لغة دين الأمة بالحكم أنَّ الأمة مسلمة، وحق أنها لغة جنسها بحكم أنّ الأمة عربية الجنس، والدين معًا، ومن هنا نشأ ما نراه من حرص متأصل في هذه الأمة على تعلم العربية».

وقال في مقال آخر: «إنّ العربية هي لسان العروبة الناطق بأمجادها، الناشر لمفاخرها وحكمها، فكل مدع للعروبة فشاهده لسانه، وكل معتز بالعروبة فهو ذليل إلاّ أن تمده هذه المضغة اللينة بالنصر والتأييد، فلينظر أدعياء العروبة، الذين لا يريدون ألسنتهم على بيانها، ولا يريدون أفكارهم على حكمتها في أية منزلة يضعون أنفسهم».

اكتفي بهذه النقول للشيخ البشير الإبراهيمي، لأنّها تلخص فلسفة المشروع الحضاري الذي أرادت جمعية العلماء أن تخدم به دينها وأمتها به، ولو أردنا نصوصاً أخرى للتدليل على مكانة العربية في هذا المشروع العظيم، لأتينا بالكثير منها، وليس الإبراهيمي وحده من كتب ونظر حول مسألة اللغة، بل كلّ رجالات الجمعية كتبوا نصوصاً راقية وعالية المستوى، في تمجيدها وتعميقها في الواقع الجزائريّ، كلّ ذلك عبر التجربة الإعلامية المتميزة والرائدة من خلال تلك الموسوعات الجامعة لجرائد ومجلات الجمعية، التي خدمت مسألة الهوية والثقافة العربية في الجزائر.

02 - دور إعلام الجمعية في نشر وترقية اللغة العربية:

لقد أولت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أهمية كبيرة لمسألة اللغة، فعملت علي نشرها وترقيتها واستخدامها في كلّ شؤونها، وقد تجلى هذا أكثر ما تجلى في وسائل إعلامها، التي كانت كلّه ناطقة بلغة الضاد، إلاّ مجلة «الشاب المسلم» التي كانت تصدر باللغة الفرنسية، وقبلها جريدة «الدفاع»، فكلّ ما وصلنا من فكر الجمعية ونضالها كان عن طريق وسائل إعلامها، فأكثر ما يتجلى نشر العربية وتطويرها في الواقع الجزائري، هو استخدامها الواسع في جرائد ومجلات الجمعية، فمقالات ابن باديس والإبراهيمي والعقبي والميلي، وتوفيق المدني وغيرهم من علماء الجمعية، كانت تحمل ثراء لغويا قرأه واستفاد منه ذلك الجيل الذي عايش مسيرة الجمعية، وقد كان هذا من الأهداف المسطرة منذ البداية، فإحياء اللسان العربي كان إلى جانب الدين الإسلامي، و الوطن الجزائري مكوناً لذلك الشعار الخالد: «الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا».

ولعلّ ذلك الجيل قرأ ونقرأ نحن معه اليوم ما كتبه الإبراهيمي في مجلة الشهاب-الجزء التاسع، المجلد التاسع- غرة ربيع الثاني 1352هـ/أوت1933م، يقول الإبراهيمي: «إنّ جمعيّتكم هذه أسِّست لغايتين شريفتين، لهما في قلب كلِّ عربي مسلم بهذا الوطن مكانةٌ لا تساويهما مكانة، وهما: إحياء مجد الدِّين الإسلاميّ وإحياء مجد اللغة العربيّة».

ويتابع الشيخ شارحا الغاية الثانية قائلاً: «وأمّا إحياء مجد اللسان العربي، فلأنّه لسان هذا الدِّين والمترجم عن أسراره ومكنوناته، لأنّه لسان القرآن الذي هو مستودع الهداية الإلهية العامَّة للبشر كلِّهم، لأنّه لسان محمّد بن عبد الله - صلّى الله عليه وسلّم - صفوة الله من خلقه، والمثل الأعلى لهذا النوع الإنسانيّ الذي هو أشرف مخلوقات الله، ولأنّه لسان تاريخ هذا الدِّين ومُجلّي مواقع العِبَر منه، ولأنّه - قبل ذلك وبعد ذلك - لسان أمّة شغلت حيّزا من التاريخ بفطرتها وآدابها وأخلاقها وحكمها وأطوارها...»

لقد أدت وسائل الإعلام التابعة لجمعية العلماء دوراً كبيراً في الحفاظ على اللغة العربية في الجزائر، إلى جانب الوسائل الأخرى التي اتخذتها الجمعية من دروس محو الأمّية، وتحفيظ القرآن في الكتاتيب، وتدريسها في المدارس التابعة لها، إلقاء المحاضرات والندوات وأسمار الأدب والشعر.

يقول الإمام المؤسس الشيخ عبد الحميد بن باديس: «قد فهمنا - والله - ما يراد بنا، وإنّنا نُعلن لخصومَ الإسلام والعربية أنّنا عقدنا على المقاومة عزمَنا، وسنمضي - بعون الله - في تعليم دِيننا ولُغتنا، رغم كلّ ما يصيبنا، ولن يصدّنا عن ذلك شيء، فنكونَ قد شاركنا في قتلهما بأيدينا، وإنّنا على يقين من أنّ العاقبة - وإن طال البلاء - لنا، وأنّ النصر سيكون حليفَنا، لأنّنا قد عرَفنا - إيمانا - وشاهدنا - عيانا - أنّ الإسلام والعربية قضى الله بخلودهما، ولو اجتمع الخصوم كلّهم على محاربتهما».

ويكتب الإمام في جريدة البصائر -العدد83 سنة1937م قائلا: «حُوريت فيكم العُروبة حتى ظُنّ أن قد مات منكم عِرْقُها، ومُسخ فيكم نُطقُها، فجئتم بعد قرن، تَصْدَحُ بلابلكم بأشعارها، فتثير الشعور والمشاعر، وتهدر خطباؤكم بشقاشقها، فتدكّ الحصونَ والمعاقل، ويهز كتّابكم أقلامَها، فتصيب الكلى والمفاصل».

واختم بكلمة جامعة لشيخ العربية وأمير بيانها الشيخ البشر الإبراهيمي، فيما حققته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في المجتمع الجزائري، من تثبيت دعائم اللغة العربية فيقول -رحمه الله-: «هذا بعض ما قدّمته جمعيّة العلماء للعروبة من صنائع لهذا الوطن، تفخر به في غير منّ، وتجود به من غير ضنّ، ولولا الحياء لقالت أكثر من ذلك ولتَحَدَّتْ كلّ العاملين في الشرق العربيّ لرفعة العربية وإعلاء شأنها بين اللغات بأنّها عمِلت لها أكثر ممّا عمِلوا: عمِلوا لها وهم أحرار آمنون، في بلدٍ لسانُه وجنسُه عربيّان وحاكِمُه ومحكومُه عربيّان، وعمِلنا لها تحت تأثير زمجرة الاستعمار ودمدمة أنصاره، وأنقذناها من بين أنيابه وأظفاره».

والله ولي التوفيق.

guellatiabdelkader@gmail.com

إنكار أعمال الإبادة في الجزائر

هل كان قتلُ ملايين الجزائريين طوال 132 سنة تسلية؟

أ. حسين لقــــرع

> **يكشف تصريح الرئيس الفرنسي فرانسوا هولند بشأن عدم وجود أعمال إبادة في الجزائر خلال الثورة التحريرية، أن الفرنسيين لا ينوون أبدا الاعتراف بجرائم الاستعمار في الجزائر طوال قرن وربع قرن من الاحتلال، فكل ما هنالك، حسب هولند، هو «حرب مؤلمة خلّفت الكثير من القتلى، ولم تكن هناك نيّة لدى الفرنسيين لابادة الشعب الجزائري».**

يؤكد هذا التصريح أن هناك تجاهلاً تاما لأعمال الإبادة الكثيرة التي قام بها الاستعمار الفرنسي في الجزائر، سواء خلال الثورات الشعبية المتعاقبة التي استمرت طوال القرن التاسع عشر تقريباً، أو خلال مجازر 8 ماي 1945 وبعدها الثورة التحريرية، وخلفت كلها ملايين الضحايا، والغريب أن هولند يتحدث عن أعمال إبادة عثمانية تركية للأرمن أفضت إلى مقتل 1.5 مليون أرمني خلال الحرب العالمية الأولى، ولكنه ينكر على فرنسا الاستعمارية ذلك، ويزعم أن المسألة تتعلق فقط بـ«حرب مؤلمة»، حتى وإن كان عدد ضحاياها يفوق ضحايا الأرمن بعدة مرات.

الكثيرُ من القادة العسكريين الفرنسيين الذين قادوا حملات لإخضاع مختلف المناطق الثائرة بالوطن وإخماد الثورات الشعبية، يعترفون في شهاداتهم ومذكّراتهم وكتبهم التي أصدروها، أنهم مارسوا أعمال إبادة شاملة بحق سكان القرى والدواوير الثائرة، فهذا سانت أرنو يعترف في عام 1842 بأنه أباد نحو 200 قرية عن بكرة أبيها، في حين يقول العقيد مونتانياك، كما ورد في «الموسوعة الحرّة»: «أخبرني بعض الجنود أن ضباطهم يلحّون عليهم ألا يتركوا أحدا حيا بين العرب.. كل العسكرين الذين تشرفت بقيادتهم يخافون إذا أحضروا عربيا حيا أن يُجلدوا». ويضيف «لقد محا الجنرال لاموسيير عشرين قرية في خرجة واحدة، إنه عمل يؤكد انعدام الانسانية». ويروي فظاعة جنود الاحتلال بمدينة معسكر يوم 19 ديسمبر عام 1841 قائلاً: «بمجرد أن حُدّد موقع القبيلة انطلق سائر الجنود نحوه ووصلنا الخيام التي صحا سكانها على اقتراب الجنود، فخرجوا هاربين نساء وأطفالا ورجالا مع قطعان ماشيتهم في سائر الاتّجاهات، هذا جندي يقتل نعجة... تُضرم النار في كل شــيء، يُلاحق الناس والحيوانات وسط صراخ وغثاء وخوار، إنها ضجة تصم الآذان».

ويقول النقيب لافاي عن مجزرة وقعت في 23 ديسمبر 1848 بنواحي بني سنوس بتلمسان: «لقد أحرقنا قرى لقبيلة بني سنوس.. لم يتراجع جنودُنا أمام قتل العجائز والنساء والأطفال. إن أكثر الأعمال وحشية هو أن النساء يُقتلن بعد أن يُغتصبن، وكان هؤلاء العرب لا يملكون شيئا يدافعون به عن أنفسهم».

ويروي الضابط المراسل تارنو مذبحة وقعت في 17 أفريل 1842 قائلاً: «بلاد بني مناصر رائعة، لقد أحرقنا كل شيء، ودمرنا كل شيء.. آه من الحرب.. كم من نساء وأطفال هربوا منا إلى ثلوج الأطلس ماتوا بالبرد والجوع.. إننا ندمّر، نحرق، ننهب، نخرّب البيوت، ونحرق الشجر المثمر.. أنا على رأس جيشي أحرق الدواوير والأكواخ ونفرغ المطامير من الحبوب، ونرسلها إلى مراكزنا في مليانة».

ويروي مونتانياك جانباً من مجزرة وقعت بمعسكر في 31 مارس 1842، ويتحسّر لانعدام الشفقة والانسانية عند الجنود الفرنسيين الذين أصبحت قلوبهم أقسى من الصخور: «النساء والأطفال اللاجئون إلى أعشاب كثيفة يسلمون أنفسهم لنا، نقتل، نذبح، صراخ الضحايا واللاقطين لأنفاسهم الأخيرة يختلط بأصوات الحيوانات التي ترغي وتخور، كل هذا آتٍ من سائر الاتّجاهات، إنه الجحيم بعينه وسط أكــداس من الثلج.. إن كل ذلك في هذه العمليات التي قمنا بها خلال أربعة أشهر يثير الشفقة حتى في الصخور إذا كان عندنا وقتٌ للشفقة، وكنا نتعامل معها بلا مبالاة جافة تثير الرجفة في الأبدان».

هذه عيّنات فقط لاعترافات ضباط فرنسيين سقناها للردّ على هولند الذي يبدو أنه لا يقرأ التاريخ، أو أنه يتجاهل ما حدث من فظاعات ارتكبها جنود الاحتلال الفرنسي طوال 132 سنة من الاحتلال.

أما ما حدث في 8 ماي 1945، ثم خلال سبع سنوات ونصف سنة من الثورة التحريرية، من أعمال إبادة وجرائم ضد الانسانية، فهي معروفة، حتى وإن هوّن الفرنسيون من شأنها، وحجّموا خسائر الجزائريين فيها للتخفيف من وطأة الشعور بالذنب الذي يشعرون به في قرارة أنفسهم، ولتخفيف حجم خجلهم من ماضيهم الاستعماري البربري.

ولو كان هناك جردٌ حقيقي لخسائر الشعب الجزائري طيلة 132 سنة من الاحتلال، لوقف العالم كله على حجم الكارثة التي ألحقها الاحتلال بالجزائريين، وفي غياب إحصائيات دقيقة، تشير توقّعات عديدة إلى أن عدد الشهداء طيلة 132 سنة تتراوح بين 6 و8 ملايين شهيد، منهم 1.5 مليون شهيد خلال الثورة التحريرية وحدها، ولكن فرنسا تنكر كل ذلك وتزعم أن عدد الضحايا، لا يتجاوزون مئات الآلاف، وهذا حتى تبعد عن نفسها تهمة أعمال الابادة، وهي جريمة ضد الانسانية تقتضي محاكمات وتبعات قانونية وسياسية عديدة.

ويُضاف إلى ذلك، جرائم التعذيب المعروفة، والتهجير والاستيطان والاستيلاء على أخصب الأراضــي وتسليمها للمعمّرين الفرنسيين والأوروبيين، وطرد الفلاحين الجزائريين إلى الجبال والأراضي غير الخصبة، فضلاً عن «الإبــادة المعنوية» والمقصود بها إبادة الهوية الجزائرية، ومنع تعليم اللغة العربية في عقر دارها، ومحاربة الإسلام، ومحاولة نشر الفرنسية والتنصير وسط الجزائريين...

إن الاستعمار شرّ كله، وإن حاول الفرنسيون تزيين وجهه القبيح والادعاء بأنه كان يحمل «إيجابيات» للجزائريين، وكان يعمّر ويبني، وكأنه كان يفعل ذلك من أجل سواد عيون الجزائريين وليس لأن الفرنسيين كانوا يعتقدون أنهم سيخلدون في الجزائر، وأنها أصبحت جزءاً لا يتجزّأ من فرنسا.

لقد كان الفرنسيون ينوون البقاء إلى الأبد بالجزائر، لذلك حاربوا ثوراتها الشعبية بوحشية ونكلوا بالسكان، وارتكبوا أعمال إبادة بربرية لإخمادها. وخلال الثورة، تواصلت الوحشية خلافاً لكل البلدان الإفريقية التي طالبت بالاستقلال عن فرنسا ومنحته لها دون عناء، في حين حاربت الجزائريين بضراوة لاخماد ثورتهم والاحتفاظ بالجزائر، ولكن إرادة الجزائريين كانت أقوى، وأفضت إلى قهر المستعمِر وإجباره على الخروج مذموما مدحورا بعد قرن وثلث قرن من الاحتلال والوحشية والاستيطان، وبعد أن قدّم تضحياتٍ بملايين الشهداء...

واليوم، حينما يتشدق هولند بأنه لم تكن هناك أعمال إبادة بالجزائر، فلأنه أدرك أن السلطة قد بلغت مبلغا عظيما من الضعف والهوان إلى درجة أنها عجزت حتى عن إصدار قانون يجرّم الاستعمار الفرنسي ردا على القانون الفرنسي بتمجيد الاستعمار، كما أنها لا ترفع مطالب الاعتراف والاعتذار إلا نادراً وعلى استحياء، ولذلك يتغوّل هولند ويتشدّق وينكر جرائم الاستعمار، ولن يتغيّر الوضع، إلا إذا أصبحت مطالب الاعتراف والاعتذار ثابتا من ثوابت السياسة الخارجية الجزائرية ورُبط بتطوير العلاقات وتعزيز التعاون، وقد يتطلب ذلك عقوداً أخرى من الزمن، ولكنه سيتحقق حتماً طال الوقتُ أم قصُر.

hocinel55@yahoo.fr

أخيرا – فرنسا تقدم مشروع قرار المجلس الأمن الدولي

أ. محمد الحسن أكيلال

يبدو أن صبر «أبي مازن» قد بدأ يؤتي أكله وأن جرائم الاحتلال الصهيوني أيقظت الشعور بالذنب لدى كبار الدول الإمبريالية التي عملت على غرسه في فلسطين؛ آخر الأخبار تفيد بأن الجمهورية الفرنسية ستقدم مشروع قرار يخص الدولة الفلسطينية إلى مجلس الأمن الدولي، وأن الولايات المتحدة الأمريكية لن تستعمل حق «الفيتو» ضد هذا القرار.

إذا حدث هذا فمن الممكن القول بأن صبر الرئيس الفلسطيني «محمود عباس» قد أثمر خيرا، وأن تحديه لمناوئيه من قادة فصائل المقاومة منذ بداية «أوسلو» قد كان مؤسسا وأنه على صواب، لكن لابد من ترك مساحة صغيرة للشك والريبة في نوايا الدولتين الاستعماريتين المؤمنتين إلى حدّ النخاع بالعقيدة الصهيونية واستعدادهما الدائم في كلّ الظروف والأحوال للإذعان والخضوع لمشيئة اللّوبيين الصهيونيين في بلديهما.

المهم أن القضية الفلسطينية في مرحلة مفصلية، وليس أمام المناضلين الفلسطينيين السياسيين منهم والعسكريين وقت كبير للتفكير فإما الاقتناع بهذا الحلّ السياسي، وإما العودة إلى البندقية والصاروخ؛ والظاهر أن هذه الدول الكبرى تعرف هذا جيدا، ولذلك سارعت إلى نوع من الطمأنة حتى على سبيل ربح الوقت المطلوب للتهدئة الهشة التي تسود الضفة والقطاع.

لأن قوات الأمن والجيش الصهيونيين لا يعترفون لا بالقوانين ولا بالأعراف الدولية ولا بمواثيق حقوق الإنسان.

ليكن، قد تكون الأقدار هذه المرّة قضت ببداية العدّ العكسي للجبروت والظلم الصهيونيين، وأن الدول الكبرى هذه فعلا قد تحرك ضمائر قادتها بسبب التعنت الذي يتمسك به رئيس الحكومة الإسرائيلية وأتباعه من اليمين المتطرف والمستوطنين الصهاينة، وقد يكون بسبب إضافي هو حالة المنطقة التي أشعلوها منذ بداية الألفية الحالية فأصبحت كلّها من أفغانستان إلى شمال إفريقيا يبابا تنتظر طيور اليوم والغربان توقف دوامة القصف المدفعي والصاروخي لتبدأ في عزف سنفونياتها الخالدة في أرض لم يبق منها إلاّ القليل من الجياع الذين نساهم الموت.

السؤال المطروح بإلحاح هو: كيف قررت فرنسا تقديم هذا المشروع ولماذا في هذا الوقت بالذات؟

هل قررت فرنسا لوحدها اتخاذ مثل هذه الخطوة؟ أم أنها تشاورت مع حلفائها من الدول الغربية الكبرى كبريطانيا والولايات المتحدة؟ هذا هو المنطق الذي يفرضه التنسيق والتشاور والعمل المخابراتي المشترك الذي بدأ منذ نهاية الحرب العالمية الثانية واشــتـد خــلال سنوات الثمانينيات من القرن الماضي.

الأكيد أن مخططا هاما وكبيرا قد تم إعداده من طرف هذه الدول لتمريره في المرحلة الحالية والقادمة، يعني مرحلة ما بعد «داعش» التي يعمل الجميع على دفنها ودفن أسرارها معها وبروز أمر واقع جديد في المنطقة قد أشار إليه المفكر السياسي الأمريكي «بريجنسكي» في كتابه الأخير الذي تضمن التقسيم الجديد للشرق الأوسط الذي تصل فيه عدد الدول العربية إلى أربعة وأربعين دولة بدل العدد الحالي.

المنطق يفرض أن يكون للشعب الفلسطيني حظه في هذا التقسيم، وقد يكون معتمدا صيغة القطاع لوحده والضفة الغربية لوحدها وعــرب الــ 48 وشمال فلسطين لوحدهم، على أن توسع الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية وشمال فلسطين إلى مرتفعات «الجــولان» المحتلة بعد التفاهمات والمفاوضات التي تفرض فيها الإرادة الدولية على السلطة الفلسطينية التي كانت أصلا مقتنعة بالحكم الذاتي ودولة غير مسلحة.

هذا المنطق لا يستبعد ما دام هو الوحيد الذي بقي للدول الغربية أن تقنع به الحركة الصهيونية العالمية ودولة الاحتلال وخاصة وأنها ستكون الدولة الأقوى في كل المنطقة بعد إقناع الجمهورية الإسلامية الإيرانية بعدم امتلاكها للسلاح النووي.

للفلسطينيين الآن، وخاصة القادة وفصائل المقاومة الجدد والانتباه لمثل هذا المخطط الجهنمي الذي سيعيدهم إلــى العهد القبلي مثلهم مثل جيرانهم العرب، وليس لهم من الحلول الشيء الكثير، بل أمامهم حلّ وحيد وواحد هو العودة إلى ما قبل «أوسلو» و «بيت الطاعة» الوحيد، منظمة التحرير الفلسطينية بميثاقها الأول دون غيره، وإقناع السلطة بضرورة إنهاء أي شكل من أشكال التنسيق الأمني والتبادل التجاري.

هذا المسعى يفرض على الدول العربية موقفا جديدا وحازما يتلخص في:

- الإعلان عن سحب مبادرة السلام كخيار استراتيجي.
- إيقاف كل نشاطات مكاتب الاتصال لبعض الدول والسفارات لــلــدول المعترفة بــدولــة الكيان الصهيوني أو على الأقل التهديد بذلك لإرغام الدولة الصهيونية على الإذعــان للحلّ السياسي السلمي للقضية على أساس الأرض مقابل السلام وترسيم حدود هذه الدولة وفق قرار الأمم المتحدة عام 1948.
- الضغط الدبلوماسي على الدول الغربية الكبرى لقبول وعدم الوقوف في وجه محكمة الجنايات الدولية لتمارس مهامها في محاكمة قادة الدولة الصهيونية السياسيين والعسكريين على الجــرائــم ضد الإنسانية وجرائم الحرب التي اقترفوها في حق الشعب الفلسطيني منذ بداية الاحتلال إلى اليوم، أي منذ بداية الهجرة اليهودية إلى أرض فلسطين.

hacen03@live.com

علاقة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالشيخ محمد عبده ومدرسته 3/2

د. نبيل أحمد حلاق

وقد يتردد المرء في تقرير مثل هذا الحكم خاصة في حال شح المعلومات وغياب تفاصيل بعض الحيثيات المرتبطة بالحدث. غير أن ذلك التردد، سرعان ما يتبدد لتظهر بعده سطحية مضمون ذلك الاعتقاد المسلَّم به مع أول ظهور لمجرد قرينة بسيطة. فما بالك بدليل ساطع مصدره أبرز المعنيين بالموضوع، وهو الرئيس الأول لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، عبد الحميد بن باديس الذي سئل عن تلك الزيارة ومدى تأثيرها في الحركة الإصلاحية وذلك بشهادة تلميذه الشيخ با عزيز بن عمر (1906-1977) فأجاب قائلا » إن زيارة الشيخ عبده للجزائر كانت شبه رسمية، وقد أوعزت السلطات الاستعمارية إلى من وظفتهم في المساجد والمدارس بالالتفاف حوله حتى يحصوا عليه حركاته وسكناته وكل صغيرة وكبيرة من أقواله. وكان درسه الذي ألقاه في تفسير سورة العصر درسا ضيقا لم يتسع إلا لهؤلاء الرسميين من أئمة ومفتين ومدرسين... «وبعدما أشار بن باديس إلى ما تعلق بمصلحة فرنسا في تلك الزيارة، قرر أن »زيارة الشيخ عبده كانت إذن محدودة الأثر لإحاطة الرسميات بها من كل جانب، وإذا تأثرنا نحن علماء الجزائر الأحرار فيما بعد، فإنما تأثرنا عن طريق دعوته هو وجمال الدين الأفغاني عن طريقة دراسة دعوتهما لا عن طريق زيارة عبده للجزائر«.(18)

تَضمَّن كلام الرئيس الأول لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين إقرارين مهمين، أولهما محدودية تأثير زيارة محمد عبده على الحركة الإصلاحية في الجزائر، وثانيهما الإقرار بالتأثر فيما بعد بدعوة كل من عبده والأفغاني عن طريق دراسة دعوتهما لا عن طريق تلك الزيارة، وهذا النوع من التأثر الذي أشار إليه بن باديس، هو الذي نميل إلى تصنيفه ضمن التأثر بالإصلاح »فكرة«، ولعل اعتراف الرئيس الثاني لجمعية العلماء، محمد البشير الإبراهيمي بأن رجال الإصلاح في الجزائر قد أحبوا شعار الإصلاح الذي رفعه محمد عبده وانتصروا له رغم عدم تبينهم لمشربه الفكري كل التبين، يؤكد مبدأ التأثر بالإصلاح »فكرة«. ثم إنّ إشارة الإبراهيمي لتأثير »المنار« ضمن جملة العوامل التي ساعدت على ظهور جمعية العلماء، تبعها في نفس السياق بالتأكيد على قلة قرائه في ذلك العهد. (19)

من هنا يمكن القول بأن الإصلاح »فكرة« هو الذي نرجح أنَّ ابن باديس وغيره من رواد الجمعية قد أشادوا به وقرّروه في بعض كتاباتهم، وعلى ذلك بنى كثيرٌ من الذين يقولون بمبدأ التأثر آراءَهم وأحكامَهم.

ولعل شهرة الشيخ محمد عبده، لارتباطه بشيخه جمال الدين الأفغاني و»العروة الوثقى«، ثم بمجلة »المنار« ونشر الشيخ محمد رشيد رضا لفكره من خلالها، وأيضا بعلاقاته بالساسة والمفكرين الغربيين، قد ساهمت جميعها، مع غيرها من العوامل التي ليس هذا موضوعها، في وصف وإبراز شخصيته وفكره على أنهما محور الإصلاح في ذلك العصر. وإلاّ هل كان العالم الإسلامي خاليا من المصلحين من العلماء والمفكرين الذين عاصروا محمد عبده ؟

وبما أن الحديث في هذا السياق هو عن المحورية التأثيرية لزيارة محمد عبده في تاريخ الإصلاح في الجزائر، فإنه تجب الإشارة إلى أن فكرة الإصلاح الديني والعلمي لم تكن منعدمة في الجزائر قبل تلك الزيارة. فالجزائر قد عرفت قبل تاريخ تلك الزيارة علماء عاشوا للإصلاح والتجديد، نذكر منهم عبد الكريم بن الفكون (1663-1580) (20) وأحمد بن عمار (21) و عبد الرزاق بن محمد المعروف بابن أحمادوش أو حميدوش(1696) ومحمد ابن محمود الشهير بابن العنابي (1851-1775) (22) والذي يقول العالم الموسوعي الشيخ عبد الرحمن الجيلالي (-1908 2010) أنّ بعض النصوص المحررة بقلمه تظهر أنه كان في طليعة المفكرين ممن طرق باب التجديد والإصلاح الديني والاجتماعي في العصر الحديث. ثم من جاء بعدهم من أمثال الشيخ صالح بن مهنا (1910-1854) وغيره (23)

هناك قاعدة ثابتة في تاريخ رواد جمعية العلماء الأوائل، وهي مساندة الإصلاح «مبدأ» و«فكرة» من حيث الأصل. فتجدهم حين يدعون إلى إصلاح التعليم في الزوايا الطرقية مثلا، يقبلون أن يكون الإصلاح داخليا وذاتيا، ولا يعارضون ذلك ما دامت خطوات الإصلاح تحسن من مستوى التعليم في تلك الزوايا وتفتح أذهان طلبتها على ما هو أفضل تمهيدا للمطالبة بالأمثل. بل وذهب بن باديس إلى أبعد من ذلك وهو رجاء بعض شيوخ الصوفية لإرسال أبنائهم للالتحاق بدروسه بمدينة قسنطينة، كما حدث مع أحد أنجب تلاميذه وهو عمر دردور (-1913 2009) بن شيخ الطريقة الدردورية بالأوراس، وكذلك اتصاله بوالد محمد الحسن فضلاء (1997-1914) الشيخ السعيد البهلولي (1945-1859).(24)

وجدير بالتذكير في هذا السياق بانضمام عبد العزيز الهاشمي (1962-1898) شيخ الطريقة القادرية في وادي سوف إلى جمعية العلماء، ورفع راية الإصلاح في طريقته وما ترتب على ذلك من تآمر من المقربين وسجن وإهانة من الاحتلال. (25)

الإصلاح منهجا

أما ما يتعلق بالإصلاح »منهجا«، فهو في الحقيقة يحتاج إلى بحث مستقل وموسع تتم فيه دراسة مقارنة بين فكر الأطراف المعنية ومناهجهم، إلا أننا نحاول في هذا المقام التعرض إلى ذلك بإشارات سريعة.

فقد عرفنا أنّ »فكرة «الإصلاح التي أطلقها الشيخ محمد عبده كان لها صداها في العالم الإسلامي عامة ومنه الجزائر، وأن زعماء الجمعية قد أشادوا بها وبروادها. لكن السؤال الذي يفرض نفسه في هذا السياق هو: هل كان منهج جمعية العلماء في الإصلاح يلتقي مع نفس منهج محمد عبده في ذلك؟ وهل كانت الجمعية فعلا تُطبق خطةَ الشيخ محمد عبده وبرنامجَه الإصلاحي في أعمالها؟

يقول الشيخ أحمد حمّاني (1998-1915) (26) في سياق حديثه عن حركة محمد عبده والأفغاني وعلاقتها بجمعية العلماء »إن حركتنا الإصلاحية -التي قامت في بلادنا وبدأت أعمالها ببدء أعمال بن باديس وانتصابه للتعليم عام -1914 فرع لهذه الحركة المتصلة بجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا، ولا نعني أنها كانت متصلة بهم عاملة بوحيهم مُدَبّرَة منهم، فقد كانت مستقلة تمام الاستقلال عنهما من هذه الناحية، إنما نعني أنها كانت متأثرة بهما، سائرة -في الإصلاح الديني والدنيوي- على منهاجهما في الاعتماد على كتاب الله، وإحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإماتة البدعة، والإنكار على أهلها، ودعوة الأمة إلى اليقظة والنهضة الشاملة، والتخلص من كل أثر للجمود والجحود والتأخر الفكري، وبث التعليم القوي بإحياء اللغة والنخوة الإسلامية العربية... « (27)

يتضمن كلام أحمد حماني محورين أساسيين في علاقة جمعية العلماء بمدرسة محمد عبده، فالأول محور إلتقاء على رفع شعار الاعتماد على كتاب الله وإحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإماتة البدعة، والإنكار على أهلها، إلى غير ذلك مما أشار إليه. والمحور الثاني، يقوم على استقلالية تامة في التدبير والتخطيط والعمل. وهنا يُجمِعُ الشيخان أحمد حماني ومحمد الطاهر فضلاء على أن الحركة الإصلاحية (التي قادها ابن باديس) في الجزائر نمطٌ مستقل عن غيرها من الحركات، وليس له أيّ جذور يستمد منها الحيوية، لا في التكوين ولا في التوجيه. لا شك أن الالتقاء على عناوين عامة مثل الاعتماد على كتاب الله، وإحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإماتة البدعة، والإنكار على أهلها، ودعوة الأمة إلى اليقظة والنهضة الشاملة، والتخلص من كل أثر للجمود والجحود والتأخر الفكري، وبث التعليم القوي بإحياء اللغة والنخوة الإسلامية العربية وغيرها من العناوين، هي من الأمور الشائعة بين المسلمين بمختلف تياراتهم وخلفياتهم الفكرية والعقدية، بل إن مثل هذه العناوين-وخاصة منها الإعتماد على كتاب الله وإحياء سنة رسول الله- هي شعارات لكثير من الطرق الصوفية (الخرافية المنحرفة) التي جاءت الحركة الإصلاحية لمحاربتها.

ومن ثَمّ يمكن القول أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التقت مع الشيخ محمد عبده في رفع هذه العناوين والشعارات وفي دائرة العمل بها، ويعترف رجال الجمعية للشيخ محمد عبده بالسبق برفع راية الإصلاح الديني والدنيوي في الجيل الذي سبق جيلهم، كما يعترفون للشيخ محمد بن عبد الوهاب (1791-1703) بالسبق أيضا في عصره بالدعوة للإصلاح والإنكار على البدعة والمبتدعين ووجوب الرجوع إلى كتاب الله والتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. (28)

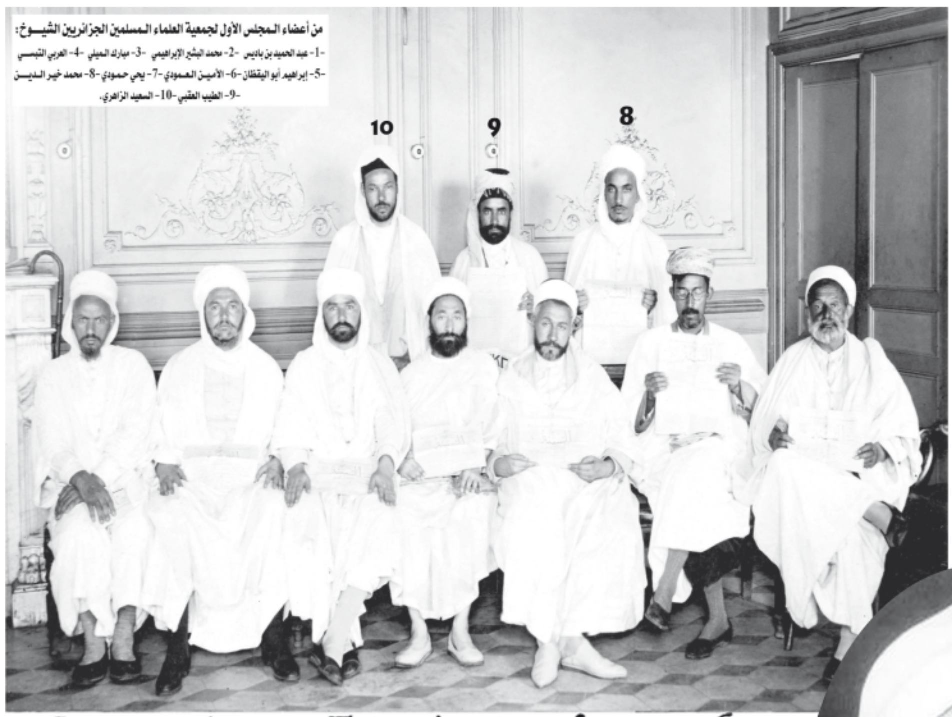
من أعضاء المجلس الأول لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيوخ:
-1- عبد الحميد بن باديس -2- محمد البشير الإبراهيمي -3- مبارك الميلي -4- العربي التبسي
-5- إبراهيم أبو اليقظان -6- الأمين العمودي -7- يحي حمودي -8- محمد خير الدين
-9- الطيب العقبي -10- السعيد الزاهري.

لكن الموضوع يقتضي التطرق إلى مسألة مهمة شكلت محورا مفصليا -عند الباحثين الأكادميين على الأقل- ليس في علاقة جمعية العلماء بمحمد عبده فحسب، بل وبعلاقة الحركات التجديدية المعاصرة فيما بينها، وهي مسألة «السلفية» التي اعتُبرت في نظر أولئك، الصبغة المشتركة لكل الحركَات التجديدية في العالم الإسلامي في العصر الحديث على أساس أنها تدعو جميعها إلى العودة إلى عصر سلف الأمة الأول.

ولعل عدم وضوح مضمون مصطلح «السلفية» وتضارب وتباين مفهومه لدى الكثير ممن كتبوا في المسألة، هو أحد الأسباب الرئيسة في بروز تضاربات وتباينات في إسقاطاته على الواقع. وقد انعكس ذلك التباين والتضارب على إسقاط صفة السلفية على كل من محمد عبده وجمعية العلماء على السواء. ففي الحين الذي يُرجع فيه الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي (2013-1929) ميلاد شعار السلفية إلى عهد ظهور حركة الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وعبد الرحمن الكواكبي (-1854 1902)، (29) نجد مَن يذهب إلى أن أول من أطلق صفة السلفية على محمد عبده والأفغاني هم الغربيون وبصفة خاصة تشارلز أدمز Charles Adams (30 .(1873-1955))

أما المفكر محمد عمارة (1931) فإنه مع إقراره بأن مصطلح «السلفية» من المصطلحات التي يحيط بها الغموض وعدم التحديد في عدد من الدوائر الفكرية والسياسية في عالمنا العربي والإسلامي المعاصر،(31) فإنه يميز بين نوعين من السلفية، أحدهما سلفية نصوصية مأثوراتية ويُنسِب إليها مدرسة السلفية النجدية (محمد بن عبد الوهاب)، وأخرى سلفية مستنيرة عقلانية ويصف بها الحركة الإصلاحية الحديثة ويذكر من أعلامها الأفغاني وعبده والكواكبي وبن باديس. (32)

كما نجد محمد عابد الجابري (2010-1936) ينتقل من جهته بالسلفية عبر حقب زمنية مختلفة، وبامتدادات تجمع في طياتها بين الاتصال والانفصال معا، تصطبغ السلفية في كل حقبة منها بخاصية تميز ذاتها، ومرّت فيها من الوهابية إلى الجهادية مرورا بما أسماها بالسلفية النهضوية الثورية للأفغاني، والسلفية النهضوية الإصلاحية لمحمد عبده. (33)

أما محمد سعيد رمضان البوطي، فإلى جانب إرجاعه ميلاد شعار السلفية إلى عهد الأفغاني وعبده، فإنه من جهة أخرى يأخذ على محمد عبده مخالفته لمنهج السلف الذي رفع شعاره. (34) وهي مسألة كتب فيها الكثير بين مُثبت أو مخالف وما نتج عن ذلك من إثبات صفة السلفية لمحمد عبده أو نزعها عنه، الأمر الذي دفع ربما بالشيخ محمد الغزالي (1996-1917) في كتابه «دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين» إلى محاولة الفصل في المسألة، وذلك في معرض حديثه عن مدرستي الأثر والرأي، حيث وصف مدرسة محمد عبده بأنها أقرب إلى مدرسة الرأي وإن كان عنوانها سلفيا. إلى جانب إقرار هذا الحكم، نجد محمد الغزالي يوافق من أخذوا على مدرسة محمد عبده مخالفة السلف في مسألة الرأي والتأويل في بعض المسائل كتفسيره للملائكة، وتبرم محمد أبو زهرة في حكم الرجم، وبعض فتاوى محمود شلتوت التي يرى الغزالي أنها بحاجة إلى مراجعة. ويؤكد الغزالي مع ذلك نفي العصمة عن أصحاب مدرسة الرأي، مثلما ينفيها عن نظرائهم في مدرسة الأثر أوالحديث. (35)

ويأخذ مالك بن نبي (1973-1905) بدوره على الحركة الإصلاحية التي قادها محمد عبده إغْراقَها في «علم الكلام» الذي يرى أنه أصبح مُسَلَّطا على تلك الحركة بالقدر الذي حاد بها جزئيا عن الطريق، وذلك حين حط من بعض مبادئها الرئيسة كمبادئ السلفية. ف «علم الكلام» عند مالك بن نبي يُشَوِهُ المشكلةَ الإسلامية ويفسد طبيعتها، وذلك حين يغير المبدأ «السلفي» في عقول المصلحين أنفسهم. (36) وقد تكون الخلفية العقدية الأشعرية الماتريدية لمحمد عبده هي المحضن الذي ساعد على سيطرة «علم الكلام» على حركته ومدرسته كما يرى بن نبي. وقد يكون ذلك أيضا من الأمور التي غيرت موقف الشيخ محمد رشيد رضا أثناء تحوله عن بعض قناعات شيخه محمد عبده الذي سبق وأن تحول بدوره عن قناعات شيخه الأفغاني الثورية.

يصف رئيسُ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ عبد الحميد بن باديس، صاحبَ المنار محمد رشيد رضا، بأنه فاق أستاذَه محمد عبده في نواح عديدة من العلم. (37) لكن بن باديس لم يفصح عن ماهية تلك النواحي من العلم، وربما جواب بعض ذلك قد نجده عند محمد فتحي عثمان الذي وصف محمد رشيد رضا بأنه كان أعلم بنهج السلف من شيخه محمد عبده، حيث عمد إلى مزيد العناية بالسنة في تفسير القرآن بعد وفاة محمد عبده، كما أنه في بيان مسائل العقيدة، تتضح سلفيته النقية التي لا تشوبها شائبة. (38) وبذلك تكون سلفية رضا في نظر محمد عمارة أقرب إلى سلفية محمد بن عبد الوهاب وإن لم تكن مثلها. (39) ذلك التحول الذي رآى فيه البعضُ محمد رشيد رضا ينتقل إلى دور خادم للنظام السعودي الناشئ والوهابية الزاحفة في ذلك العهد، ومتآمرا ضد مصر للقضاء على دورها الحضاري والريادي والقضاء على نموذجها المدني الحديث. (40)

أما بن باديس فيشهد بأن ما نشره الشيخ محمد رشيد رضا من تفسير للقرآن، وما كتب في المنار وفي غير المنار، قد جلى الإسلام بصفاته الحقيقية للمسلمين وغير المسلمين، ولفت المسلمين إلى هداية القرآن، وتكون بذلك الحركة الدينية الإسلامية الكبرى التي شهدها العالم الإسلامي آنذاك كما يقول بن باديس -إصلاحا وهداية، بيانا ودفاعا- من آثار محمد رشيد رضا. (41) مع إقرار محمد البشير الإبراهيمي رغم ذلك بقلة قراء المنار في الجزائر عند تأسيس الجمعية أوفي العهد الذي سبقه. (42)

فرجال الإصلاح في الجزائر ورواد جمعية العلماء بصفة خاصة حينما تأثروا بحركة محمد عبده، إنما تاثروا

يتبع

سؤال الهوية وجدلية البناء الاجتماعي بين الحداثة والعصبية

د. محمد عبد النور*

سؤال الهوية هو سؤال العيش المشترك من الناحية العملية، ذلك أن الهوية أولا تتحدد تبعا للآخر، أي أن الهوية هي معرفة ما يميز الإنسان عن الآخر فردا وجماعة أو أمة، وهذا سؤال أصيل في الوجود الإنساني تتجلى رمزيته في موقف ابني آدم هابيل وقابيل.

كما وتجلى في آخر مظاهرها الحضارية ضمن شعار «الأخوة» الذي رفعته الثورة السياسية في فرنسا، بمعية شعاري الحرية والمساواة، والأخوة في هذا السياق يقصد به الرابطة التي توحد المواطنين في الوطن الواحد.

كما تجلت مسألة العيش المشترك في الكثير من المواضع في النص القرآني وتوجيهات الشرع الحنيف، (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا)، وكذا قوله صلى الله عليه وسلم: «الدين المعاملة».

-1 إشكالية الفطرة وصلة الرحم

من حيث المبدأ يولد الإنسان منتميا بالضرورة إلى هوية قرابية لا خيار له فيها، فهي تُختار له كما يختار جنسه ولونه وهيئته، وهو في ذات الوقت يولد على الفطرة السليمة كما ورد في الحديث النبوي الشهير «ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» متفق عليه.

بالمقابل فإن تأثير البيئة على الإنسان ضرورة ناشئة عن فعل التربية الذي يتولاه الوالدان في البيئة الاجتماعية عامة، والتربية في أحد معانيها التدخل في طبيعة الإنسان لتكييفه وفقا للقيم والتقاليد والأعراف السائدة.

من هنا تنشأ المعادلة التي هي ذاتها جوهر الابتلاء في الخلق، الحفاظ على الفطرة السليمة والاندماج الكامل في المجتمع، والمعلوم أنه كلما زاد اندماج الفرد في المجتمع كلما كان من الناحية العملية أكثر نفعا وفعالية والعكس بالعكس.

والمعلوم أيضا أن المجتمعات في غالبها تحرص على القيام بدمج أفرادها وتحقيق تكاملهم معها من خلال العناية بالتربية ومؤسساتها، كما أن معيار نجاح الأبوين في تربيتهما هو إنتاج أفراد أسوياء يتكاملون مع المجتمع.

والدين في مقابل ذلك يحث على صلة الرحم، والرحم هي منبع التعصب، والتعصب من العصب والأعصاب، والأعصاب هي مجرى الدم في الإنسان، ومنها تنبع النعرة، وفي ذلك قال ابن خلدون في فصل تكون العصبية من الالتحام بالنسب من كتاب المقدّمة بأن صلة الرحم من النعرة على الأقرباء أن تنالهم مظلمة أو هلكة، والقريب يجد غضاضة في ظلم قريبه نزعة طبيعية في البشر منذ الخلق، ومن ثم فإن فائدة النسب الالتحام الذي يوجب صلة الأرحام حتى تقع المناصرة واللحمة.

لذلك كان من الواجب التمييز بين العصبية التي هي صلة للرحم لا تناقض الدين بل هو يحث عليها، وبين العصبية التي تقف حائلا دون تحقيق قيم الدين، ومن هنا يتضح أن العصبية عامل ذو حدين، والعصبية بحاجة إلى توجيه الدين لتكون الشرط الواقعي والضروري لتحقيق القوة والسواد، ذلك أن العصبية هي ذاتها الشرط الواقعي الذي قامت عليه دولة المدينة، وفي ذلك يقرر ابن خلدون في فصل انقسام الدولة إلى قسمين من المقدمة: «وانظر إلى ذلك في الدولة الإسلامية العربية حين كان أمرها حريزا مجتمعا، ونطاقها ممتدا في الاتساع، وعصبية بني عبد مناف واحدة غالبة على سائر مضر، فلم ينبض عرق الخلاف سائر أيامه». فالإشارة هنا واضحة إلى أن نجاح الدعوة المحمدية كفلته عصبية بني عبد مناف التي كانت العماد الواقعي الأساسي لقيام الحضارة الإسلامية قاطبة.

-2 أساس المجتمعات الحديثة وعلاقتها بالعصبيات

تقدم أن بناء الشكل السياسي للمجتمع -أي بناء الدول- في الماضي قام على المواءمة بين العصبية والدين، والدين يقيمه الأنبياء بوصفهم قادة وأمراء، كما كان يقوم أمر الدولة عامة على الملوك والسلاطين المتغلبين بواسطة عصبياتهم.

إلا أن الدولة الحديثة قدمت نموذجا بديلا لذلك وهو إحلال العلم محل الدين في بناء المجتمع مع الإبقاء على العصبية التي تحولت أشكالها وتدثرت في عالمنا المعاصر، والمجتمعات الأمريكية والسوفياتية واليابانية نماذج للمجتمعات القائمة على التخطيط العلمي والمرجعية العلمية معا، وهنا لابد من الإشارة إلى أن العلم هنا يقصد به العلم التجريبي الوضعي الحديث.

والفارق أيضا أن العلم في الماضي كان يستخدم لمجرد تحسين حياة البشر من خلال تطوير التقنية وأن الملوك والسلاطين يعتمدون علماء لهم لاستشارتهم في مسائل الحكم، إلا أن العلم في نسخته الحديثة التي ظهرت بداياتها خلال القرن الخامس عشر افتك لنفسه مع بدايات القرن الثامن عشر مكانة التشريع والقيادة وتقرير أدق تفاصيل حياة الناس مثل سن القوانين والاختراعات التكنولوجية الدقيقة، بل وحتى المفكرين صاروا يؤثرون أيما تأثير على الحكام ويبنون تصوراتهم للحكم والقيادة الحكيمة مثلما أثر كتاب الأمير لمكيافيلي على حكام العالم الحديث والمعاصر، فضلا عن تجارب بافلوف واكتشاف قانون المنعكس الشرطي بحيث صار بناء المجتمع والتحكم فيه ممكنا بفضل قانونه عن الإثارة والاستجابة.

وقد نتج عن المنهج العلمي ما يسمى بالدولة الحديثة التي توحد بين الانتمائين الجغرافي والإثني، وهو ما عبر عنه «الفكر القومي» الذي يعرف بأنه نموذج اختزالي يتسم بدرجة عالية من التجانس الاثني يكاد يقترب من الانغلاق على الذات، أدى في أوروبا وخلال أحقاب متطاولة إلى صهر أو إبادة أعضاء الأقليات الاثنية التي لا تنتمي للأسطورة القومية.

ومعلوم أن المجتمع الحديث وشكله السياسي أصبح نموذجا كونيا عابرا للقارات بنيت على نموذجه غالب مجتمعات عالم اليوم، ومنها المجتمعات العربية والإسلامية التي سبق وأن خاضت تجربتها في قيادة الركب الحضاري والذي لم يسلم هو الآخر من انحرافات عن الأسس الواقعية لقيام الدولة والحضارة - التي تقدم أنها التوحيد بين الدين والانتماء العصبي- فظهر فيها ظاهرتان هما التمدن والشعوبية.

-3 التمدن والشعوبية في التاريخ الإسلامي المتأخر

يقول ابن خلدون بأن الانتماء إلى المواطن وقع في صدر الإسلام في دمشق وانتقل إلى الأندلس، فصار علامة زائدة على النسب، ثم وقع الاختلاط في الحواضر مع العجم وغيرهم، وفسدت الأنساب بالجملة وفقِدت ثمرتها من العصبية فاطُرحت، كما تلاشت القبائل ودثرت فانتهت العصبية بانتهائها، كما تحدث عن اختلاط الأنساب وإذهابه لعصبية وذلك بسقوط أهل الأنساب في نسب آخر بالقرابة أو الحلف أو الولاء، وذلك بفرار من القوم يؤدي إلى الانصهار في نسب الفار إليهم، كما ويحدث أن ينسى النسب الأول بطول الزمان ولا يحفظه إلا أهل العلم فيخفى على الأكثر، وما زالت الأنساب تسقط من شعب إلى شعب ويلتحم بقوم آخرين في الجاهلية والإسلام والعرب والعجم.

أما الشعوبية فهي لفظ يشير إلى التمييز العنصري الذي ظهر بين القوميات الإسلامية خاصة بين الفرس والعرب، ذلك أن الفرس أول من دخل الإسلام من غير العرب، ثم امتدت الشعوبية إلى الهنود والأتراك عند اعتناقهم الإسلام، ثم مولّدي الأندلس والأسبان المستعربين.

وقد عرّف القرطبي الشعوبية بأنها حركة تبغض العرب وتفضل العجم، وقال الزمخشري في أساس البلاغة عن الشعوبيين أنهم هم الذين يصغرون من شأن العرب ولا يرون لهم فضلا على غيرهم، أما الموسوعة البريطانية فتعرف الشعوبية بأنها كل اتجاه مناوئ للعرب.

أما علي شريعتي فقد انتقد في كتبه التشيع العلوي والتشيع الصفوي وتوظيف التشيع الصفوي للشعوبية لأغراض سياسية من بينها الاتجاه الذي يزرع الفتنة ويخلف العداوة والبغضاء والعصبية والنعرات بين الفرس والترك والعرب.

وأيا يكن فإن اجتماع الشعوبية الفارسية والقومية العربية والتتريك الكمالي كلها عوامل أفسدت على المسلمين عيشهم المشترك.

-4 الخاتمة

إن الواقف على الحقائق المتقدمة يدرك كيف أن سؤال الهوية جوهري في اللحظة الراهنة ويدرك مدى تعقده في ذات الوقت، ومن ثم فإن كل ذلك سيجعل من سؤال الهوية الذي مررنا على بعض تفاصيله في متن النص محورا لقضايا المستقبل السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتي ستكون أبعاده كونية لا محالة.

والله أعلم

*** أ. علم الاجتماع بجامعة غرداية/ الجزائر**

لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها...

أ : محمد العلمي السائحي

لا أحد يشك في أن الجزائر باتت مريضة، وأن مرضها مرض عضال يحتاج من القائمين عليها، والمتنفذين فيها، أن يعجلوا بعرضها على الطبيب، على أن لا يكون هذا الطبيب مجرد طبيب، بل يجب أن يكون هذا الطبيب طبيبا نطاسيا مختصا في علاج الأمراض المستعصية، والأدواء الخبيثة المزمنة، ذلك لأن المرض الذي ابتليت به اليوم، يبدو من أعراضه الظاهرة للعيان، والتي من أهمها أن أهلها لم يعودوا على كلمة سواء بينهم إذ اختلفوا حول اللغة الجامعة، ونظام الحكم الذي ينبغي أن يسود، واستشرى الشعور بينهم بالحيف والظلم، باتت الدولة عاجزة عن ردع من شذ عن الجماعة، وشق عصا الطاعة، بحيث أصبح المواطن الواحد، بوسعه أن يقطع الطريق العام ويعطل حركة المرور، أو أن يغلق البلدية أو الدائرة ويمنع هذه أو تلك، عن تقديم خدماتها للمواطنين.ومنها عجز المؤسسات الخدماتية الرسمية عن تقديم خدمات في المستوى المطلوب للمواطنين، في المجال الصحي والتعليمي والاتصالات والنقل، بحيث اضطر المواطن على طلب تلك الخدمات في البلاد الأخرى، ومنها اليأس الذي أطبق على النفوس حتى أن الناس صاروا يتدافعون إلى الهجرة إلى الغرب طلبا لفرص أرجى لحياة أفضل، ومنها ارتفاع وتيرة الانتحار بحيث ما من يوم إلا وتطلع علينا صحفنا اليومية بأخبار انتحار هذا أو ذاك شنقا أو حرقا، ومنها توالي الاحتجاجات الاجتماعية التي تؤكد أن وطأة الحياة باتت لا تطاق، ومنها استشراء العنف حيث صار الجزائري لا يأمن لا على نفسه أو عرضه أو ماله، ومنها الفساد المالي الذي عم وطم حيث تتعرض الخزينة العامة بسببه إلى نزيف حاد، مما أصاب المواطن بالقنوط، حيث يرى المال الذي جمعه بكده وجهده ينهب ويهرب إلى الخارج، والدولة عاجزة عن وضع حد لهذا النزيف، الذي بات يهدد البلاد والعباد بالموت الأكيد، تلك هي بعض الأعراض التي تكشف بجلاء، عن طبيعة المرض الذي بات يفتك بالجزائراليوم، والذي أصبح من الضروري أن تتجند كل القوى الحية في البلاد، للتصدي له، وبذل ما في وسعها لعلاجه، وافتكاك الجزائر من براثنه، قبل أن يأتي عليها.

فماذا علينا أن نفعل حتى ننقذ وطنا شارف على السقوط، وشعبا أطبق عليه القنوط؟

لو ذهبنا نتقصى أسباب تمكن هذا الداء من الجزائر، لوجدناها تنحصر أساسا في:

1) إننا لم نتفق على الغايات الكبرى والأهداف المرحلية في بناء الجزائر مما جعل جهودنا في خدمتها تتعارض وتتناقض بدل من أن تتلاحم وتتكامل.

2) إننا اعتمدنا في مواجهة مشاكلنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الثقافية على الحلول المستوردة في حين كان الأولى بنا والأحرى استلهامها من حضارتنا وتاريخنا وثقافتنا.

3) إننا لم نعط للتخطيط حقه من العناية والتقدير، وذلك ما صعب علينا عملية المراقبة لجهودنا في مختلف القطاعات فاستحالت علينا معرفة ما إذا كنا نتقدم أم مازلنا نراوح مكاننا، وما إذا كنا نتقدم في الاتجاه الصحيح، أم حدنا عنه وانحرفنا.

4) إغفالنا العناية بتربية وتعليم الفرد الجزائري، بالطريقة التي تجعله متشبعا بعقيدته، مقدرا لحضارته، معتزا بثقافته، محبا لوطنه، مخلصا لأمته.

5) جَبُنّا عن حسم المشكل اللغوي مما فسح المجال للاختلاف حول اللغة الرسمية التي ينبغي أن تسود وأن تكون هي لغة التفكير والتعبير والتسيير فمهد ذلك الطريق للدعوات الانفصالية، واستغل الموالون منا لفرنسا هذا الوضع الشاذ للتمكين لهيمنة اللغة الفرنسية على حساب العربية والأمازيغية على حد السواء.

ومن هنا تطرق ذلك المرض العضال إلى الجزائر والسبيل إلى إنقاذها منه لا يكون إلا باعتماد النهج الذي نهجته ثورة التحرير المباركة وتجسيد بيان أول نوفمبر وتحقيق ما جاء فيه من مطالب، إذ لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها...

مجتمع الحشرة النموذج

أ. إبراهيم قمور

حكمة بالغة، وتنظيم رباني من عجائب الدقة في التوزيع وإسناد المهمات إلى القادرين على القيام بها، ونحن ألسنا نعيش في مجتمع يشبه إلى حد ما خلية النحل؟ هي عيشة مشابهة، إذ أن لكل نحلة فيها -أي الخلية- عملا محددا، فهذه تقوم بحراسة الصغار، وتلك تمتص رحيق الأزهار لتصنع منه عسلا مصفى فيه شفاء من الأمراض، وأخرى تقاوم أعداء الخلية وتساعد المرضى أو تبني المسكن الملائم، ولنفرض في عالم الحشرات أن نحلة تركت مهمتها، أو تخلت عن عملها، أو تهاونت فيما تقوم به، فماذا يحدث؟ يحدث قطعا وأكيدا أن تتعرض الخلية إلى أضرار محققة مما يصعب إصلاحه.

هذا الوضع القائم على الغريزة يشبه إلى حد قريب توزيع النشاط بين أفراد المجتمع، إذ لكل فرد -بل طائفة- فيه عمل، فهذا يحرث الأرض ويزرعها، وذلك يتاجر أو يعلم الطلبة، وآخر يعالج المرضى ويحارب الآفات الصحية، وهناك من يحرص الأمن أو يفصل في قضايا المتخاصمين، أو يشرف على تصنيع البلاد، وتنظيم الاقتصاد تنظيما محكما لا تزعزعه تقلبات الأيام أو اختلاف الأحداث كيفما تكن شدتها وقدرتها على التأثير فيما حولها، وهذا التنظيم لا يقوم على الغريزة مثل النحلة، وإنما يقوم على التفكير والتدبير والحسابات والمقارنات..

ولنفرض أن فردا تخلى عن عمله، أو أهمل واجبه المسند إليه، فإن المشكلات المعقدة لا تلبث أن تهبه بقوة من كل حدب وصوب، ويتكاثر العاطلون عن العمل، وينشر الغلاء، ويسود أسلوب النهب والسرقة وتتعدد الجرائم في شؤون المال، وتغيب العدالة، ولعل ما نراه من مشكلات اقتصادية واجتماعية وثقافية في بعض البلدان مرده إلى تخلي أفراد أو أقوام عن واجب العمل الذي أسند إليهم، وهذا النوع من الإهمال خرب التوازن ودمر التماسك، ومما يتوجب السعي وراء مطالب الحياة العديدة، أنه لابد من ماء يروي الظمأ، وغذاء يشبع الجوع، ومنزل للسكن، ورداء يستر الجسد من العري، وهذه المطالب الضرورية التي نقضي حياتنا جريا وراءها لا تأتي إلينا ونحن قابعون في منازلنا، نداعب الخيالات والأحلام في تحصيل الثروة وتلبية ما يكون من رغبات، وهذه الصورة نشاهدها تخيم على بعض المجتمعات التي يرضيها الكسل واستغلال جهود الآخرين، والافتخار بما لديهم من مكتسبات جاءت مصادفة وعن غفلة من الوضوح.

ومن الغريب الفاضح أن تستجيب المجتمعات الإسلامية لهذا الكسل الفظيع والذي تنجر منه خسائر كثيرة، ووجه الغرابة في هذا الموقف يأتي من كون ديننا الإسلامي الحنيف، يدعو إلى العمل وبذل الجهد، في آيات قرآنية وأحاديث نبوية منها قوله تعالى في سورة الجمعة الآية10: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ} أي مال الله، وقول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم: «ما أكل أحد طعاما قط، خيرا أن يأكل من عمل يديه، وإن نبي الله داوود كان يأكل من عمل يده» وهو نبي وملك، ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم رعى الغنم وتاجر ليكسب مالا حلالا، أفلا يحق أن يكون قدوة حسنة لنا وللذين يعتمدون على أنفسهم في مجابة المطالب والمصاعب الدنيوية وقهر العقبات.

ومن صور إرادة السعي للكسب الحلال، أن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم كان يوما جالسا مع أصحابه، فرأوا شابا ذا قوة وصبر، وقد بكر يسعى، فقال بعضهم: ويح هذا، لو كان شبابه في سبيل الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تقولوا هذا، فإنه إن كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة ويغنيها عن الناس، فهذا في سبيل الله، وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليعينهم فهو في سبيل الله.

نرى ديننا الإسلامي الحنيف يلح في الدعوة إلى العمل وإنكار الكسل، وفي هذا يقول رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم: «اليد العليا خير من اليد السفلى» وبماذا تكون اليد عليا؟ بما تملكه وتستطيع أن تنفع به الآخرين، وتقدم إلينا النحلة نموذجا في تنظيم الأعمال وتوزيع المهام والثروات المشتركة والتقليل من شأن هذا النموذج يعرض المجتمع إلى الربا والاحتكار، والغش ثم التفكك الذي يعد دخولا في الدمار والانحلال التام، وما يمنع أن تكون النحلة في نشاطها درسا وعبرة رغم أنها معتمدة على الغريزة وحدها.

الاقتصاد في فكر مالك بن نبي

أ. عبد الباقي صلاي*

لم يُعرف عن المفكر الكبير «مالك بن نبي» أنه تناول أزمة الفكر الاقتصادي للفرد المسلم، إلاّ لماما وفي أواخر حياته، عندما سطر كتابه «المسلم في عالم الاقتصاد»؛ حيث تناوله بشكل مختزل لم يتجاوز حدود التذكير بأن هناك حالة اقتصادية يجب أن تدرس وفق منهج معين، وضمن نسق معين، وضمن حدود الاختيار الإسلامي بين المناهج السائدة في تلك الفترة قبل انهيار المعسكر الشيوعي، وقبل ظهور نظرية البرويسترويكا.

فالفكر الاقتصادي الإسلامي لدى «مالك بن نبي» ينحصر ضمن ثنائية واحدة ووحيدة تكمن في «الاقتصاد والاقتصادانية» économie et éco-nomisme، لأن المشكلة حسبه هي بالدرجة الأولى نفسية، لأن الوعي الاقتصادي لم ينم عن شعور العالم الإسلامي النمو الذي نماه في الغرب في شعور الإنسان المتحضر وحياته.

ومعالجة بن نبي للحالة المتدهورة للاقتصاد الإسلامي، تنطلق من فرز حقيقي للموقع الذي يتواجد ضمنه العالم الإسلامي، بين حالة «الاقتصاد» الذي هو شيء يقوم على قواعد متينة، وحقائق واقعة، فيما أن حالة «الاقتصادانية» كما يصفها بن نبي كفقاعة غاز لا تحوي أي واقع اقتصادي، بل هي أسوأ، كما أنها ظرف يبدي ألوان قوس قزح لألاءة براقة، فضلا عن أنه يحوي أوهاما خلابة ضائعة وتناقضات تدعو للسخرية.

إنّ الاقتصاد في فكر «مالك بن نبي» يتمحور حول مضمون فكري، أكثر منه تقني، ينطلق من مسلمة واحدة أن الحضارة تتولد من الاقتصاد القوي الذي على العالم الإسلامي أن يقف إلى صفه، كما أن الاختيار بين المناهج الملقاة في سوق الأفكار الاقتصادية يجعل هذا العالم الإسلامي يعيش حالة من الضياع والتيه، لايعرف أين يقف وأين يسير، ولهذه الأسباب ما يزال العالم الإسلامي إلى اليوم يئن تحت وطء الخراب الفكري، وتحت وطء الانهيار الاقتصادي في أطواره، وكأنه ما يزال يعيش في زمن الصدمة الاستعمارية.

يقول «مالك بن نبي» في مقدمة كتابه «المسلم في عالم الاقتصاد»: «إنه لم يكن المسلم عندما فتح عينيه في عالم الاقتصاد بعد أن نالته الصدمة الاستعمارية، سوى قنّ يسخر لكل عمل يريده الاستعمار، فينتج المطاط في حقول الهند الصينية (فيتنام)، والفول السوداني في إفريقيا الاستوائية، والأرز في بورما، والتوابل والكاكاو في جاوه (اندنوسيا)، والخمور في الشمال الإفريقي». مستطرد قائلا: «ولم تكن له في هذه الأعمال صلة موضوعية بعالم الاقتصاد ولا تربطه بعمله صلة ذات طابع مشروع، لم يكن المنتج الذي يرعى حقه، ولا المستهلك الذي ترعى حاجته، لقد كان أداة عمل مستمر فلم يتكون لديه وعي اقتصادي ولا تجربة ولا خبرة في عالم اقتصاد غريب عليه بكل مفاهيمه».

وقد يرجعه مالك بن نبي هذا الغياب للوعي الاقتصادي، أو هذه الغيبوبة الحضارية في مجملها إلى افتقار للإدراك العام لتزاوج النظرية الاقتصادية مع النظرية السياسية، فيقول في هذا الصدد: «وعملياً يجب أن تسير النظرية الاقتصادية جنباً إلى جنب مع النظرية السياسية، إذ لا أثر لهذه النظرية الاقتصادية إلا إذا اتفق مع تجربة اجتماعية معينة، إن مبدأ اقتصادياً لا يمكن أن يكون له أثره، ومقدرته التامة على التأثير إلا في الظروف التي يتفق فيها مع تجربة اجتماعية معينة» ويقصد الأستاذ مالك بن نبي بالتجربة الاجتماعية المعينة، كل خصوصية حضارية لأي أمة، وكل بيئة ثقافية محددة، ويقدم الدليل على ذلك بما حصل لإندونيسيا التي تعد من أغنى بلاد الله، لكنها لم تقدر على الخروج من أزمتها الاقتصادية رغم أن واضع نظرية إقلاعها الاقتصادي أحد أكبر الاقتصاديين الألمان الذين قدموا عصارة خبرتهم الاقتصادية لألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى، وهنا حسب «مالك بن نبي» التجربة ناجحة في ألمانيا؛ لأن الدكتور شاخت ألماني، ولكنها فاشلة لأن الدولة هي إندونيسيا والشعب غير الشعب الألمان.

ورغم أن الحالة التي عليها العالم الإسلامي، والأزمات التي تنخر جسمه من كل جانب، غير أن «مالك بن نبي» لم يفوت الحديث عن تجارب أخرى ساهمت أزمتها، وانكسارها في نهوضها مرة أخرى، ويضرب مثالا في ذلك عن الصين التي نهضت من العدم فيقول: «إن الصين الحديثة، صاحبة المعجزة الكبرى في هذا القرن، خرجت من العدم فتحولت معالمها، كما حولت، من أجل بناء سدودها وطرقها المليارات من الأمتار المكعبة من التراب، لا بالآلات الحافرة والناقلة، المفقودة في بلد ينشأ، ولكن بفضل سواعد أبنائها وعلى أكتافهم، تحدوهم الأسطورة المعبرة عن طاقة الإنسان عندما تحركه إرادة حضارية، فتذكروا أو ذكروا أن جدهم «يوكنج «حول الجبال».

الاقتصاد في فكر «مالك نبي» وإن لم يتم تناوله كمشروع على حدة إلا من خلال كتابه الأخير «المسلم في عالم الاقتصاد»، بيد أن كل نظرياته الحضارية تنطلق بالأساس من مشروع اقتصادي كبير، لأن أي نزعة نحو التحضر لا يمكن أن تكون بمنأى عن مفهوم اقتصادي، لهذا فالبحث في نقاط الظل للمشروع الاقتصادي الذي كرسه من خلال مشاريعه الأخرى يجب أن يدرس بكثير من المصداقية، والعمق، وبكثير من التحليل والبحث الدقيق، فأدق التفاصيل قد ترمي بالدارس نحو عزلة في مساحات أخرى قد تكون جرداء، لا تعني المسلم المعاصر في شيء.

***إعلامي ومخرج**

أ. محمد الهادي الحسني

الشيطان الساذج

هذا العنوان الغريب ليس من عندي؛ ولكنه للإمام عبد الحميد بن باديس- رحمه الله، ورضي عنه- حيث كتب في العدد 3 من جريدة «المنتقد»، الصادر في 16 جويلية 1925م ص 3، يقول: «نعم، الجَمْعُ بين الشَّيْطَنَة والسذاجة عجيب، ولكن في الجن والإنس مَنْ هو مخلوق عجيب، فهو الشيطان بخُبثِه ومكره، وساذج لخُلوِّه من فكر يعرف به حقيقة ما يحاول إزالته..».

هذا الكلام ينطبق في هذه الأيام على (ما) يسمى فرانسوا هولند، رئيس (ما) يسمى فرنسا؛ فهو خالٍ من فكر يَعرف به حقيقة ما يحاول إزالته، وأنَّى له ذلك، فقد أنْطَقَ الله أوائله، فشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا رادَةً في الإجرام، وأنه لم يخلق مثلهم فيه، فهم مصدَرُه، ومُصَدِّروه، وقد «رفعت الأقلام وجفت الصحف».

لقد أنكر هذا (الفرنسوا) أن فرنسا مارست في الجزائر حرب إبادة، رغم تأكيد كثير من الفرنسيين، ومنهم المؤرخ أوليفي لوكور ڤرانميزون، فعلى الفرنسيين أن يبحثوا عن رئيسلهم، لأن هذا (الفرانسوا) له عينان لا يبصر بهما، وله أذنان لا يسمع بهما، وله «عقل» لايفقه به، فهو ينكر الشمس في رابعة النهار.

لقد كتب فرنسيون أنهم يريدون أن تكون الجزائر خالصة لهم، وقالوا إن سبيلهم إلى ذلك هوأن يفعلوا بالجزائريين ما فعله الإنجليز بسكان العالم الجديد (الهنود)، وما خيب مُنَاهُم، وأفشل مسعاهم إلا هذا الجهاد المجيد الشديد الذي خاضه آباؤنا وأجدادنا؛ هذا الجهاد الذي استمر أكثر من ثمانين عاماً، والذي نقلوه في الأخير إلى فرنسا، حتى سميت «الولاية السابعة»، فأثبتنا لهم «أننا - كما قال الإمام الإبراهيمي في مدينة باريس- لرجال، وإننا لأبناء رجال، وإننا لأحفاد رجال... وإن فينا لقطرات من دماء أولئك الجدود، سيجليها الله إلى حين». (الآثار 2/466).

لقد أورد القاضي الأديب علي الطنطاوي (ذو الأصول الجزائرية) جملة بعثها الملك الفرنسي فرانسوا الأول إلى أمه يخبرها بما أصابه وجيشه من هزائم قائلا: «لقد خسرنا كل شيء إلا الشرف»، وكرر الجملة نفسها إلى السلطان العثماني سليمان القانوني وهو يستعطفه لينجده، وقد عقب القاضي الطنطاوي على قول فرانسوا الأول فقال: «سيكتب التاريخ عنكم (الفرنسيين) بما صنعتم بالجزائر أنكم خسرتم كل شيء حتى الشرف». (علي الطنطاوي: ذكريات، ج5، ص59). ثم أضاف: «أقسم إني لو كنت فرنسيا لخجلت أن أقول إني فرنسي، وكل مفكر أو أديب فرنسي يخجل اليوم من نسبته إلى فرنسا بعد ما صنعت بالجزائر».(5/63).

نُسِب إلى جورج مجدونالد قوله: «نصف شقاء الناس ناجمٌ عن محاولتهم الظهور بغير مظهرهم الحقيقي».

إن أظْهَر من يحاولون الظهور بغير مظهرهم الحقيقي هم هؤلاء الفرنسيون، الذين كانوا عاراً على الجنس البشري بما فعلوه من مخازي، وما ارتكبوه من جرائم لم يسلم منها حتى الأجنة في بطون أمهاتهم.

إن ما فعلته فرنسا في الجزائر يجعلني أدعو الله- عز وجل- أن يكون آخر كلام الجزائريين الأحرار قبل «الشهادة» هو لَعْنُ فرنسا، وإذا كان «بعضنا» يعانق الفرنسيين، ويقبلهم، ويحضنهم، ويهفو قلبه إليهم، فأولئك هم «....»؛ أما أصلاؤنا فهم على مذهب الشيخ بلقاسم البوجْليلي الزواوي الذي أفتى بأن من صافح فرنسيا فعليه تجديد الوضوء.

***نقلا عن الشروق اليومي**

أذان إلى العلماء للقيام بما يدفع البلاء ويحقق الرجاء

أ. محمد مكركب

هذا أذان الساعة، يتضمن نداء العلماء، للقيام بما يدفع البلاء عن الأمة، ويخرج البشرية من كل غُمَّة وظلمة، ويحقق الرجاء للناس جميعا، فيما يريدونه من الأمن والاستقرار.... ألا فلينظر العلماء حفظهم الله، إلى واقع الأمة، وما تعانيه من شقاء التقاتل، ومصائب التخلف، وفتن التمزق والانقسام....أيها العلماء الحكماء...إن واجبَ الاهتمام بأمر المسلمين، وواجبَ دعوةِ غيرَ المسلمين،كلّ ذلك يقتضي أن يجتمعَ العلماء، للقيام بما يجب القيام به، من القول والفعل... والنظر بحكمة، في أمر هذه الشعوب المعذبة بفتن بعضها، وكيد أعدائها، وبسب جهل وهجران كتاب ربها،وبسبب تفرق آراء وفتاوى علمائعها...ما هو الهدف من هذا النداء؟ هو الدعوة إلى اجتماع علماء المسلمين، أو على الأقل على مستوى كل بلد إسلامي، لحماية الأمة من المزيد من التصدع والانهيار، بسبب استمرار الخلاف والنزاع، والحد من ظاهرة الفساد، والاضطراب السياسي، والتردي الأخلاقي والاجتماعي، فإن الشعوب الإسلامية في خطر، بل إن الإنسانية كلها في خطر....وسبب الحل الشامل، والإصلاح الكامل بيد العلماء مجتمعين... هذا هو النداء الخامس منذ 1990م من أجل أن نعذر عند الله تعالى، وأن نقول اللهم فاشد، فإننا قد نصحنا وبلغنا، لِما علمناه من الكتاب والسنة، أن صلاح الأمة واستقامة أمرها مرهونان،بوحدتها واتحادها، وأن ذلك لا يتم إلا باتحاد وتعاون واجتماع العلماء....عندما رفض الحكام السياسيون التصالح مع بعضهم...

قال لي أحد إخواني الدعاة: أما كان في النداءات السابقة كفاية، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، أن يتعظ ويستفيد، وينقاد إلى الدعوة الربانية، والحكمة النبوية.؟. قلت: لقد دعوت إلى الوحدة والاتحاد، وإلى اجتماع العلماء، ومازلت أدعو كل مرة حتى يلبي العلماء، ويستجيب السياسيون، وتنقاد الرعية كلها، إلى وحدة واتحاد، في تعاون وتضامن، وتكامل....

فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، إن ما يقع في ليبيا، وسوريا، والعراق، ومصر، واليمن، ولبنان، والإجرام الذي يقترفه اليهود في فلسطين أكبر وأخطر.... إلى حد كتابة هذه الكلمات (16 أفريل:2015م)

فعلى إخواننا العلماء أن يستيقظوا من غفوة الصمت، وأن يخرجوا من بروج الأنانية، وأن ينزلوا إلى ساحة واقع الأمة، إلى حيث دموع الأحزان، وصراخ الاستغاثة،وحيث أنين المعذبين المقهورين، وحيث وحوش الفساد تنشب مخالبها في جسم الأمة... وأن يعودوا إلى ملتقى الإيمان، الذي كان عليه الصحابة والتابعون بإحسان، وهذا أمر معلوم بالضرورة، مما يُعْلَم من الشرع، والعقل، والواقع، وذلك ما عبر عنه العالم الفقيه، والمحدث السني النبيه، الإمام مالك رحمه الله، عندما قال: «لايصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها}، وصَدَقَ وَاللّهِ عَبْدُ الحميد بْنُ بَاديس عندما قال:{ لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم...» أجل لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم وأمراؤهم... ولن يتحد المسلمون حتى يتحد علماؤهم.... ولن يقلع المسلمون عن الخلاف والنزاع حتى يقلع العلماء عن اختلافهم والصدود عن بعضهم.....

فمن النعم الجليلة التي أنعم الله بها على الجزائريين أن وفق جماعة طيبة من علماء الجزائر سنة (1924م لإعداد هيئة علمائية، تم بفضل الله تعالى الإعلان عن تأسيسها واعتمادها رسميا..(5ماي 1931م) إنها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين....فقد أحيت الشعب الجزائري، وجمعت كلمته، وثبتته بفضل الله على منهج الدين الإسلامي، وحفظته ووقته من الاندماج في الفكر الفرنسي، ومن الذوبان والإبادة....فكانت الجمعية العلمائية الجزائرية إماما قادت الأمة الجزائرية، أيام الاحتلال الفرنسي الغاشم، ووحدت كلمتها وصفوفها وأهدافها تحت راية {لا إله إلا الله}.... فكيف منذ خمسين سنة من الاستقلال لا يكون للجزائر مفت عام.؟؟...ولا هيئة علمائية جامعة لكل العلماء الدعاة؟؟ إلى حد كتابة هذه الكلمات: (16 أفريل 2015م)

إن السياسة المنتهجة إلى حد الآن، في البلدان الإسلامية عامة، والعربية خاصة، هي سياسة الأنانية والانفراد،على مستوى العلماء، وعلى مستوى الأمراء، والمفكرين، والكتاب، وسائر النخب، هي سياسة: {أنا وإلا لا} ... فهذا النداء دعوة إلى هجران الضمير الفردي: (أنا) وملازمة الضمير الجماعي: (نحن)...

وليعلم كل مسئول، وكل عالم، وكل مفكر، أن الزمان تنفس على مئات من مثله...وقد يعلم شيئا وغابت عنه أشياء، مهما كان في رتبة العلم، أو رتبة السلطان... ولاشك أنك لم تنس الموعظة التي قالها الخضر لموسى عليه الصلاة والسلام.... [إن موسى عليه السلام، قام خطيبا في بني إسرائيل، فسئل أي الناس أعلم؟ فقال أنا، فعتب الله عليه، إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه، إن لي عبدا، بمجمع البحرين، هو أعلم منك...(فذهب موسى عليه السلام مع فتاه)، حتى انتهيا إلى الصخرة (كما أرشده ربه عز وجل) فإذا رجل مسجى ثوبا، فسلم عليه موسى، فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام؟ قال أنا موسى، قال موسى بني إسرائيل؟ قال نعم، أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا، قال: إنك لن تستطيع معي صبرا. (ثم قال له): {يا موسى إني على علم، من علم الله، علمنيه، لا تعلمه أنت، وأنت على علم، من علم الله، علمكه الله، لا أعلمه.}] [رواه البخاري.في كتاب التفسير.]

اقرؤوا قوله): {يا موسى إني على علم، من علم الله، علمنيه، لا تعلمه أنت، وأنت على علم، من علم الله، علمكه الله، لا أعلمه.} فمن أنت أيها العالم حتى تظن أنك وحدك تحل مشاكل الأمة، وتنفرد بالفتوى في مصير الناس؟ ومن أنت أيها السياسي الحاكم حتى تستأثر بالرأي والقرار، في مصير الأمة؟

كان الخلفاء الراشدون إذا عرضت لهم قضية يجمعون لها العلماء، مع أنهم كانوا علماء، تتلمذوا على سيد الخلق، تتلمذوا على الذي لاينطق عن الهوى...ومع ذلك يجمعون العلماء ويسألونهم ولا يستنكفون، ولايستبدون بالرأي....قال محاوري:لماذا؟ تقول:لماذا؟ لأنهم كانوا مؤمنين حقا.... قال: والذين يعيشون هذا الزمان أليسوا مؤمنين.؟ بلى إنهم مؤمنون... قال:إذن، أين المشكل؟... قلت: فقط لأنهم لايعملون بما يجب أن يعمل به المؤمنون، وما الذي يجب أن يعمل به المؤمنون؟.... الشورى . ألم تقرأ قول الله تعالى: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} فإذا لم يجتمع العلماءُ ويتشاوروا بينهم، وإذا لم يجمع الأمراءُ العلماءَ ويستشيرونهم، كيف تُحَلّ مشاكل الأمة، وكيف يصلون إلى الحل الكامل....

قال محاوري:لقد قلتم إن المجتمع مهدد بأنواع من الفساد، وأن الدعوة الفردية المنعزلة مهما كانت لا تفعل فعل الدعوة الجماعية العلمائية العامة، فما هو ذلك الفساد؟ ولعل في ذلك شيء من التشاؤم؟ قلت: إننا لانتشاءم ولا نتطير،أبدا، وأن الخير موجود،والأمل غير مفقود، ومن شيمنا نحن معشر المسلمين التفاؤل مع عدم التغافل.....

فإن النبي صلى الله عليه وسلم، لم يكن متشائما عندما قال: [إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانا.] [رواه البخاري في كتاب الأدب.] ولم يكن صلى الله عليه وسلم متشائما عندما قال: [فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ،وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ.] [رواه البخاري.كتاب الجزية.رقم:3158] إنه صلى الله عليه وسلم يخاف على المسلمين أن يتنافسوا على الدنيا، ومتاعها، وكراسيها، فيهلكوا...... ومن الفساد: الزنا، والسفاح، ومن الفساد: التعامل بالربا، والرشوة، والتزوير،....وانتشار بيع الخمور في مدن المسلمين.....فهل يليق بالمسلمين أن يعصروا الخمر ويبيعونها في بلدانهم؟؟

قال محاوري: فإذا كانت القرارات والفتاوى الخاصة بمصير الشعوب في القضايا التشريعية، والسياسية، والتربوية، والعلمية، والدينية، تقتضي اجتماع العلماء للاتفاق على الدستور، والمخططات العامة. فهل من الواجب أيضا أن يجتمع جميع العلماء في هيئة، وتحت إشراف مفت عام، للنهي عن الخمر والرشوة والربا،والزنا؟ ألم نسمع العلماء، هنا، وهناك، وهنالك، يعظون، وينهون عن كل ذلك؟؟ قلت: صدقت،.. لقد تكلم العلماء، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر،كلما ظهرت قرون الشر، ولكن هل استجاب المعنيون وتابوا؟ وهل سمع أهل القرار واحترموا رأي العلماء وتعاونوا معهم،في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ لم يحدث هذا... ولكن لو اجتمع العلماء كل العلماء المعنيين، وقالوا لاستجاب الجميع، وسعدت الأمة...وهذا هو الهدف أن تسعد الأمة، باجتماع علمائها، وهم يقودونها إلى سعادة الدنيا والآخرة....

عالمية فكر الشّيخ البشير الإبراهيمي 2

أ. محمّد بومشرة

ومّا جاء في مذكّرات الدّكتور جميل صليبا عن الشّيخ البشير الإبراهيمي: «أسعدني الحظّ بلقائه بعد ذلك في بغداد خلال الاحتفال بذكرى ابن سينا. فسرّني ما لقيه لدى الحكومة العراقية من حفاوة وتكريم خاص. نظرت إلى مكانه في إحدى الحفلات الرّسمية، فإذا هو في الصّفّ الأوّل بين الوزراء والسّفراء بخلاف المستشرقين والعلماء الأوروبّيّين الذين وُضعوا في الصّفّ الثّاني أو الثّالث. قال لي (ماسينيون) وكان من الذين ألقوا كلمة في المهرجان، أنّه يريد أن يحتجّ لدى الحكومة العراقية على تقديم الإبراهيمي عليه. فلمّا سألته عن سبب نقمته قال لي: أنّ هذا الرّجل من ألدّ أعدائي، كتب في البصائر أنّي عملت على حرمان الجزائريّين حقّ الاستمتاع بأوقافهم مع أنّي في الحقيقة حفظتها من الضّياع بتنظيمها والاشراف عليها.» الثّقافة، مجلّة تصدرها وزارة الثّقافة والسّياحة بالجزائر، العدد 87 الصفحة 57، شعبان ورمضان 1405 هـ / مايو ويونيو 1985م.

أمّا في المدينة المنوّرة فكان الشّيخ البشير الإبراهيمي يُلقي دروسا في المسجد النّبوي الشّريف وعمره لا يتعدّى أربعة وعشرين عاما.

وفي سوريا درس ودرّس بالمدرسة الأشرفية، يقول الدّكتور جميل صليبا كنّا ندرس اللّغة العربية في مكتب عنبر بدمشق على الأستاذ الشّيخ عبد القادر مبارك. فلمّا نُقل إلى المدرسة الحربية عهدت وزارة المعارف إلى الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي في التّدريس مكانه. فأعجبنا بسعة علمه، وقوّة ذاكرته. واستقامة منهجه لأنّه كان يملي علينا المتنبّي والبحتري وأبي تمّام عن ظهر القلب من أوّلها إلى آخرها. ويُقرّب معانيها من أفهامنا بالتّفسير المحكم والشّرح الدّقيق والتّحليل الأدبي الجميل. حتّى ولّد في نفوسنا حبّ اللّغة العربية وآدابها.

يقول الدّكتور أحمد طالب الإبراهيمي في مذكّراته، الجزء الأوّل الصّفحة 57 حين يتحدّث عن اتّصالات والده الشّيخ البشير الإبراهيمي مع مراسليه في العالم: «كان والدي يملي عليّ حينئذ مراسلاته. وكان يملي في المتوسّط رسالتين أو ثلاثا في اليوم: يبعث بها إلى مراسليه الموزّعين عبر العالم في أمريكا اللاّتينية وآسيا وأروبا والمشرق خاصّة. وأصبحت بعض الأسماء مألوفة عندي مثل الشّاعر شفيق معلوف في ساوباولو. والمستشرق عبد الكريم جرمانوس في بودابست. وراعي العلماء والأدباء محمّد نصيف في جدّة. والكاتب طه حسين في القاهرة وغيرهم...» إلى أن يقول: «...وأتحسّر كثيرا على ضياع الرّسائل التي وجّهها والدي إلى طه حسين. عندما تولّى وزارة المعارف. والمتعلّقة بمشروع إنشاء معهد ثقافي مصري في باريس. كان والدي يشجّعه بكلّ ما لديه من قوّة.»

كما لا ننسى دولتي الهند وباكستان كانت لجمعية العلماء بصمات فيهما. ومودّة مع الشّيخ أبي الأعلى المودودي وغيره من العلماء...لقد أرسل الشّيخان البشير الإبراهيمي والفضيل الورتلاني إلى حضرتي صاحبي الفخامة السّيّد غلام محمّد حاكم باكستان العام. ودولة السّيّد محمّد علي رئيس الوزارة الباكستانية -كراتشي- برقيّة في قضيّة عالِم من أكبر علماء الإسلام ومن أعظم دعاته وهو الشّيخ أبو الأعلى المودودي الذي حُكم عليه بالإعدام ثمّ بأربع عشرة سنة سجنا والتي جاء في محتواها أنّ هذا الحُكم أحزن مئات الملايين من المسلمين في العالم، وأفرح أعداء الإسلام كلّهم.. طالع كتاب: آثار محمّد البشير الإبراهيمي الجزء الرّابع الصّفحة 697.

ومثل هذا النّوع من البرقيات رسالة احتجاج إلى رئيس جمهورية مصر العربية في ذلك الوقت لتخفيف حُكم الإعدام الصّادر في حقّ الكاتب والدّاعية الإسلامي الشّهيد سيّد قطب، إلاّ لأنّه قال ربّنا الله.

وفي مجلّة «مجمّع اللّغة العربية» بدمشق، العدد 41 بتاريخ أبريل 1966. كتب عالِم الشّام ومحقّقه الأستاذ الكبير محمّد بهجة البيطار مقالا تأبينيّا للشّيخ البشير الإبراهيمي كعضو في المجمّع، وكعالم مجاهد، وكأستاذ لأجيال من الشّباب في المشرق وفي المغرب. وجاء في المقال قوله: «...وقد كان لنعيه بدمشق رنّة أسف وحزن شديدين عند عارفي فضله وأدبه، إذ كان قضى مدّة دعي فيها إلى تدريس اللّغة والأدب في (تجهيز دمشق) فكان المجلّى في دروسه، وتخرّج عليه عدد وافر كان لهم أثر ظاهر في مجتمعنا العربي، ومنهم الدّكتور (جميل صليبا) زميلنا في المجمّع العلمي، وهو أحد المعجبين بأدب الأستاذ الإبراهيمي.»

يقول الأستاذ محمّد خمّار في محاضرته عنوانها: لمحات إنسانية من حياة الإمام الإبراهيمي: «كان الشّيخ الإبراهيمي رحمه اللّه بحرا في العلوم والمعارف. من ذلك أنّه حينما قدم إلى القاهرة عام 1952 كان من ضمن البرنامج الذي وُضع له زيارة كلّية الآداب بجامعة القاهرة، فدخل إلى عدّة أقسام دراسية في اللّغة والتّاريخ وعلم الاجتماع؛ فكان كلّما دخل قسما وطلب إليه أن يقول كلمة يأخذ رأس موضوع الدّرس من الدّكتور المحاضر ويتحدّث فيه بعذوبة واستفاضة وفصاحة كمن يغرف من بحر حديث العالِم المتعمّق بما حيّر وأدهش الأساتذة والطّلبة الذين تعوّدوا على التّخصّص الضّيّق وضرورة مراجعة معظم الأساتذة للمصادر والاسترشاد بالمذكّرات قبل إلقاء المحاضرة وأثناءها.» الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه. شركة دار الأمّة، الطّبعة الأولى-وزارة الثّقافة والسّياحة- الجزائر 1985. والطّبعة الثّانية- دار الأمّة، الجزائر 2007. ص: 353.

ولم يكتفِ الشّيخ الإمام محمّد البشير الإبراهيمي وهو يتابع بفكره وقلبه وأعصابه وإحساسه كلّ بلاد الإسلام، بل امتدّ همّه وفكره إلى الأقلّيات الإسلامية التي تعيش في الغرب وفي غيره.

ويقول عنه الدّكتور إبراهيم مدكور الأمين العام لمجمع اللّغة العربية بالقاهرة: «لقد عشنا مع البشير لحظات، وعرفناه في طفولته وصباه، وتابعناه في كهولته وشيخوخته، أقمنا معه حيث أقام، ورحلنا حيث رحل، ووقفنا على أعماله الجليلة، وآثاره الخالدة، واستخلصنا من حياته الدّرس النّافع. وجزاه عن الإسلام والعروبة خير الجزاء.»

قضية فلسطين في فكر الشّيخ الإبراهيمي:

وتبقى قضية فلسطين قضية كلّ مسلم حرّ، على الرّغم من أنّ الجزائريّين كانوا يعانون من ظلم الاستدمار وعنف الاحتلال وسياسة التّشويه للهُوية الجزائرية ومسخها، فلم ولن يتخلّوا على فلسطين وجعلت جمعية العلماء المسلمين فلسطينَ جزءا من قضيّتها الأساسية.

قال الرّئيس عبد العزيز بوتفليقة: «ولم يُنس همّ الجزائر الإمامَ الإبراهيمي همومَ العرب والمسلمين، فناصر جميع قضاياهم من المغرب إلى المشرق، ونالت قضية فلسطين -لخصوصيتها- الاهتمام الأكبر، فأسّس لجنة لمساعدة فلسطين، وعرض مكتبته للبيع للتّبرّع بثمنها إلى فلسطين، ودَبَّجَ بقلمه البليغ سلسلة من المقالات عنها، قال فيها الدّكتور فايز الصّايغ الأستاذ بالجامعة الأميركية ببيروت: إنّه لم يُكتب مثلها من يوم جرت الأقلام في قضية فلسطين.»

الـملتقى الدولـي

الشيخان: عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي

17 - 18 - 19 رجب 1436هـ الموافق لـ6-7-8 ماي 2015 تحت شعار: من التغيير... إلى التحرير

تنظم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الملتقى الدولي للإمامين عبد الحميد بن باديس المتوفى 1940 ومحمد البشير الإبراهيمي المتوفى 1965 بمناسبة الذكرى الخامسة والسبعين والذكرى الخمسين لوفاة كل منهما 17 - 18 - 19 رجب 1436هـ 6-7-8 ماي 2015

تحت شعار: من التغيير... إلى التحرير

فلسفة الملتقى:

كادت فرنسا أن تحقق شيئاً مما قصدت إليه قصداً، بتبليد الأذهان وقتل الوجدان واستعباد الأبدان. لولا أن قيَّض الله لهذه الأمة، من أصلابها، رجالاً أفسدوا على فرنسا مخططاتها، وقاوموها مقاومة المتمكن الواثق بأنه غالب على أمره، ولو بعد حين.. وهكذا، قامت الحركة الوطنية الجزائرية منذ أول أمرها سداً منيعاً صدَّ حملة التدمير الشنيعة التي كان الكيان الجزائري معرضا لها، وقد كان في طلائع هذه الحركة الوطنية رواد الفكرة الإصلاحية من أبناء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين..

فإذا علمنا أن البناء المعنوي للأمة الذي لا ينفك عن الاستثمار في ممكنات رأسمالها الرمزي، هو مما يتطلب آماداً طويلة ووسائل ضخمة وإرادات صلبة، علمنا معه فداحة الخطب وشناعة الجرم المقترف من قبل الهمجية الفرنسية، وأدركنا بسبب هذه الحيثيات تعاظم المهمات الملقاة على كواهل رجال الحركة الوطنية، وفي مقدمتهم علماء الجمعية الذين كان عليهم أن ينجزوا في ظرف قصير وبوسائل تكاد تكون بدائية، وضمن جو عدواني بالكامل، ما تنوء بحمله همم الأكابر من عظماء الأمم الراسخة أقدامها في العلم والمدنية.

إن تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على أساس الفكرة الإصلاحية لم يكن طفرة أو نشازاً مما كان يعتمل، إبانئذ، في الفضاء العالمي -ولاسيما العربي والإسلامي منه-، بل كان الإمامان ابن باديس والإبراهيمي، عليهما رحمة الله ورضوانه، على وعي عميق بأحوال الواقع الإسلامي، وعلى تواصل دائم بأقطاب النهضة الإسلامية، مما جعل عملهما موصول السبب بجهود كوكبة من علماء العصر، إيقاظاً لهمم المسلمين، وتحريكاً لسواكنهم حتى يضعوا أغلال العبودية التي أرهقتهم وأذلتهم زمناً غير يسير.

إن الأمة الجزائرية مقبلة، بعد شهور معدودة، على تاريخين عظيمين هما لحظتان رمزيتان في أفق تاريخها المعاصر؛ ممثلتين في الذكرى الخامسة والسبعين لوفاة رائد النهضة الإمام عبد الحميد بن باديس [1940-2015] والذكرى الخمسين لوفاة الصاحب الحبيب وحامل لواء النهضة بعد ابن باديس الإمام محمد البشير الإبراهيمي [1965-2015]، وقد ارتأت جمعية العلماء توحيدهما في ذكرى واحدة والاحتفاء بهما في لحظة واحدة، لما بين الذكرتين واللحظتين من شديد القرابة ومتين الآصرة.

لقد كان ابن باديس أمة.. وكذلك كان خليفته الإبراهيمي، وكل واحد منهما إمام وأي إمام، بل أمة.. وهذه ذكراهما ستطل علينا قريباً، ومن الواجب إحياؤها عرفاناً بجلائل أعمالهما وخالص جهادهما في الذب عن الدين الصحيح وعن العربية، وفي مقاومة المستعمرين البغاة.

وإن مدونة الإمامين -على ما هي عليه من انفتاح- لخليقة بكل قراءة مجتهدة متفحصة، فنصوصها تحتاج منا لا إلى مجرد تحيين انفعالي قد يقع في فخ القراءات المختزلة أو المسقطة، بل إلى تبصر منهجي دقيق لا تخفى عليه المسافة الزمنية التي بيننا وبين تلك النصوص، وما طرأ خلال ذلك من المستجدات والمتغيرات، والمراد بالتبصر المنهجي في الإقبال على مدونة الإمامين هو الاحتراز من الوقوع في فخ السهولة المفرطة، بأن يع الاضطراب في تعيين جهة هذا الإقبال وأغراضه؛ فليس من الوجيه الاشتغال على نصوص الإمامين مع سابق القصد إلى العثور فيها عما يعنينا من مشكلات يومنا وما يؤرقنا من هواجس غدنا، كما لو أن مدار الأمر في رجوعنا إلى الإمامين، إنما هو قائم على مقتضى استحضارهما لتحمل مسؤولية ما نحن فيه اليوم من بؤس وهوان.

ويهدف الملتقى إلى إبراز الفكر الثوري عند الشيخين ابن باديس والإبراهيمي، وتصحيح الفكرة الخاطئة المروجة عن ليونة هذين المصلحين واعتدالهما المفرط في مجال العمل السياسي، بل إنهما كانا ثائرين بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني في مواقفها وكتاباتهما عندما يمس الدين الإسلامي، والوطن، واللغة العربية بسوء. كما يطمح الملتقى إلى تبيانٍ الثورة العلمية التي أحدثها ابن باديس والإبراهيمي من خلال انصهارهما في عملية التربية والتعليم تنظيراً وممارسة وتنظيماً وتوجيهاً لتكوين رجال قادرين على مقاومة الاحتلال في صوره المتعددة، وتحرير شعبهم من كل القيود المفروضة عليه من طرف الاستعمار.

إنما نقصد القراءة التي يكون شأنها تلمس مكامن العبقرية في جهاد الإمامين وفي خطتهما في التصدي لمخطط الاستئصال الفرنسي، نعني كيف احتمل الإمامان -بكل صبر وثبات- مسؤولية التحدي، وكيف استجمعا ما ملكت قواهما في النهوض بمطلب الإحياء، إحياء الأمة الجزائرية وتحرير كيانها؟ وكيف استطاعا بنضالهما الإصلاحي كتابة الصفحة الأولى في مسار التغيير الجذري لواقع المجتمع الجزائري، وتحقيق الجزائريين لحريتهم التي ظلوا دائما يسعون لتحصيلها بالوسائل المختلفة؟

عبد الحميد بن باديس، الرجل العظيم*

الشيخ عبد الحميد بن باديس
الأستاذ أحمد توفيق المدني
18 aout 1930

الأستاذ أحمد توفيق المدني

كان أول عهدي به ، وبين رحاب جامع الزيتونة الرفيع العماد، أيام كان كعبة القصاد، في حلقات حية عامرة، فيها العلم، وفيها التقوى، وفيها الصلاح، أتلقى على شيوع جلة فيضاً من العلوم، اتسعت بها المدارك، وسما بها الفكر. كنت مبتدءاً يومئذ في التعليم العالي، وكان رجلنا العظيم منتهياً. وبيني وبينه في السن عشرة أعوام. إنما التقينا معاً على العلامة الشيخ محمد النخلي في دروسه المجمعية في علم التفسير، وكان عبد الحميد يناقش ويجادل، ولا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا تصدى لها بحثاً عميقاً، وكان الشيخ محمد النخلي، كما كان كبار الطلبة، يعجبون بتلك المناقشات الباهرة، والمجادلات العميقة التي تفتح أمامهم آفاقاً فسيحة من الفهم والإدراك. والغوص العميق في معاني القرآن الشريف وإعجازه.

وكنا نجتمع حول كتبي واحد هو محمد الأمين. نطلع عنده على كل جديد أخرجته مطابع الشرق. كنا نطالع كثيراً ولا نشتري لقلة المدد إلا قليلا. وكان الطلبة يصولون ويجولون في أغلب الميادين. خارج ساعات الدراسة. أما الشيح فكان يؤم تواً غرفته البسيطة. يطالع ويدرس ويخطط للمستقبل. لا يجادل إلا في علم. ولا يتحدث إلا عن مستقبل الجزائر الذي كان يريد بناءه من جديد فوق أسس من الدين والعلم والهدى والجهاد.

ثم افترقنا ولكلّ وجهة هو موليها. فاستبقوا الخيرات. أمَّ مسقط رأسه قسنطينة الغناء. حيث رفع لواء التبشير العلمي وجاهر بدعوة التجديد والإصلاح. سائراً مع القاعدة القرانية: "أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي أحسن". فالغاية عنده هي الوصول بالشعب إلى المستوى الرفيع الذي يحطم ويلات الحاضر الأليم. ويقيم أسس الجزائر المقبلة. الواعية العاملة. الهادفة. بينما انضممت أنا في غمرة من التفاؤل. وفي اندفاع ثوري عارم. إلى صفوف الحزب الحر الدستوري الناشئ. فما عتم عبد الحميد أن أصبح في قسنطينة ناراً على علم. وما عتم أخوكم هذا أن أصبح أميناً عاماً مساعداً لحزب الأحرار الدستوريين. ثم جمع الله بيننا بعد حين. فإذا بنا نسير في طريق واحد لا التواء فيه. طريق زرع أشواكاً واكتنفته العراقيل. وحف بالمكاره. إنما كنا نرى في آخره. بفراسة المؤمن الصادق. استقلال أوطاننا. واتحاد مغربنا الكبير وسعادة شعوب الإسلام. وارتفاع شان الدين أعلى عليين.

قصّ علي يوماً بين أكام من الكتب بمكتبة الخلدونية. قصة زيارته للحرم المدني الشريف وما رأى في مدينة الرسول -عليه الصلاة والسلام- من سمو ومن انحطاط. وما شاهده في بعض علمائها -وكان فيها علماء جلة- من ارتفاع في المدارك. ومن سفالة في الأخلاق. قال: "وقفت وقفة إجلال وخشوع أمام قبر محمد وصاحبيه. وأحسست أني قد تجردت يومئذ من كل شوائب البشرية. وأصبحت روحاً صافيةً طاهرةً. وغابت عني كل ملابسات الزمان والمكان. وخاطبت روح محمد -صلى الله عليه وسلم-. وكأنني أراها. فقلت: "يا رسول الله. هذا عهد بيني وبينك. لأعيشن في سبيل دينك وأمتك مجاهداً ولأموتن في سبيل دينك وأمتك شهيداً. والله على ما أقول وكيل".

ولقد بر بوعده برور الرجال العظماء. فما قضى يوماً من أيام حياته الغالية إلا مجاهداً كريماً. وقد أخذ الداء الفتاك يستأثر بجسده الواهي. وهو لا يأبه بذلك ولا يستمع إلى أقوال الأطباء إلا قليلاً. ولطالما وصفوا له الدواء. فإذا بالأيام تمر تباعا. والدواء عند رأسه باقياً على حاله. كان رحمه الله لا يأبه بالجسم. إطلاقا أبداً. بل كانت القيمة الوحيدة لديه هي الروح. كان يتعاهدها. كان يطهرها. كان يغذيها بالتقوى والإيمان. كان يرعاها ببث العلم بين ناشئة الشعب. وتفجير طاقات الهدى بين كل الأمة. وتحطيم جدران اليأس والخيبة التي أحاط بها الاستعمار بلادنا المجاهدة. بعد تضحياتها الجمة وكفاحها الغزير.

قلت له يوماً في مكتبي. وقد رأيت علامات الفاقة والإعياء. يا أخي: أما آمنت بأن لنفسك عليك حقاً؟ أما قرأت تفسير قوله تعالى: "ولا تنسى نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحين الله إليك" فأجاب في هدوء غريب: "كلا يا أحمد. ما عملت طول حياتي إلا بهذه الآية الكريمة. إن نصيبي هو بث العلم. وإعداد الناشئة ليوم رهيب. وتجهيز الشعب بما يقوي روحه ويرجع له الأمل. وحفر الأسس العميقة التي يقيم عليها الشعب جدار حياته الحرة المقبلة. وبذلك في نفس الوقت أحسن كما أحسن الله إلي.

وانتصب الرجل العظيم مدرساً. واتخذ من مسجد سيدي قموش بقسنطينة معقلاً له. وأخذ الطلبة يتوافدون عليه من كل حدب. فغصت الرحاب. وضاقت حلق الدرس. وما ازداد خبره انتشاراً. إلا ازداد عدد الطلبة حول ذلك المعقل النوراني العظيم وإلى أن أصبح ذلك المعهد الصغير يضم ما يزيد عن الألف من الطلبة. وكان يلقي عليهم ومن بعد صلاة الفجر إلى بعد صلاة العشاء كل يوم ما عدا الجمعة سبعة دروس تتناول مختلف علوم الإسلام.

لقد كان رجلنا العظيم متصلاً منذ أن شبَّ في العلم عن الطوق. بجماعة العروة الوثقى السلفية التي أسسها مصلح الإسلام العظيم. جمال الدين الأفغاني الداعية المفوه المحجاج. كما اتصل اتصالاً وثيقاً بالشيخ رشيد رضا صاحب مجلة المنار الإسلامي. وراوية شيخ الإسلام محمد عبده وكانت بينهما مناقشات ومجادلات.

كانت كل هاتيك الأفكار والمعاني والآراء تملأ دروس الرجل العظيم وتسيل مع روعة بيانه حكمة وفصل خطاب. يتلقاها الطلبة الميامين بقلوبهم لا بآذانهم. وتعيها أنفسهم الطاهرة. ثم هم يتحدثون عنها ويبشرون بها ويجادلون المخالفين فيها.

أما في التاريخ فقد اتخذ منهاجاً ثورياً يقوي النفوس ويبعث ما نام من العزائم. متخذاً من سيرة الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام مثلاً يحتذى في القوة والشجاعة والبأس. ونصرة الحق ومحاربة الباطل. والثبات على المبدأ والصبر على الأذىء وبناء المستقبل الزاهر الشريف لبنة لبنة. وجمع الفئة الصالحة من رجال الأمة حول كلمة الله. ليقارع بهم الفئة الطالحة المضلة منها. واتخاذ المواقف المختلفة من السماحة إلى الشدة حسب مقتضيات الأحوال محتجاً بقوله تعالى في موقف اللين: "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلى بالتي هي أحسن". وبقوله تعالى في موقف الشدة والصلابة: "يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم".

كنا يومئذ نجتاز سنة 1925م. وكان من ثمرة كفاحي بتونس في ميداني السياسة والمجتمع أن ضاق بي الاستعمار الفرنسي ذرعاً. وما أغنى عنه شيئاً ما صدر منه نحوي من وعد أو من وعيد فأصدر أمره بإبعادي عن تونس بسرعة خاطفة. فما شعرت بعد إبلاغي الأمر إلا وأنا بسيارة تنهب بي الأرض نهباً إلى أن سلمتني لمحافظ الشرطة في مدينة عنابة. وأنا كما قال الحريري: "لا أملك بلغة ولا أجد في جرابي مضغة" إنما وجدت بعنابة أهلي وعشيرتي من أبناء الإسلام وأشبال الوطنية ثم مرت بعد إقامة قصيرة إلى مدينة قسنطينة. وكأنني حللت جنة وارفة الظلال. وكنت أكاد أشم ريح النهضة يعبق من بين جدرانها وتتدفق سيول الأمل والعمل من بين منازلها.

واجتمعت بالرجل العظيم عبد الحميد بن باديس. كان لقاؤنا نورانياً. ما ذكرته إلا واقشعر جلدي وتوقف نفسي لروعة ذلك اللقاء ولجسامة ما تمَّ بعد ذلك اللقاء. كنت خلال أسبوع بتلك الديار القسنطينية أسبح في بحر من نور وأسري في سماء من أمل ورجاء وكفاح. واجتمع برجال أبرار كانوا حول ابن باديس كالحواريين حول عيسى ابن مريم. ثم غادرت قسنطينة مكرهاً لأفتتح بعاصمة الجزائر صفحة عمل وصفحة أمل. بعد أن تعاهدت مع ابن باديس وصحبه على القيام بعمل مشترك من ورائه حياة الأحرار أو موت الشهداء الأبرار.

تعهدت لابن باديس يومئذ وأصحابه. أن أحرر لهم مقالاً لكل عدد من الشهاب الأسبوعي يتناول السياسة الخارجية بصفة توجيهية من باب "إياك أعني فاسمعي يا جارة" كما اتفقنا على أن يكون مقالي خلواً من كل إمضاء. حتى لا تتخذ الإدارة من ذلك ذريعة لإلحاق الأذى بالشهاب بدعوى أنني من رجال اللجنة التنفيذية بالحزب الدستوري التونسي وأنني أتعمد بمقالاتي تلك. بث الروح الحرة الدستورية بالبلاد الجزائرية.

فما كاد يتعطل الشهاب الأسبوعي حتى خلفه الشهاب الشهري في حلة قشبية يحمل كل شهر لقارئه مالذ وطاب من حديث الدنيا والدين. مبشراً بالفلاح والنصر المبين قوماً مؤمنين. وأسس له مطبعة خاصة به تامة التجهيز. وإن مجموعة الشهاب. سادتي وسيداتي لن أمتلكها لخير ذخر وأسمى ونبقة. تجلوا الغبار عن عهد بناء مشمخر متين الأسس. لقد كان الفاتحة الطيبة للمسيرة الصالحة الجريئة التي أنشلت الأمة الجزائرية من وهدة الإفلاس في السياسة. ونكبة التنكر في الدين. فاندفعت جريئة جامحة تحطم ما يستحق التحطيم وتبني ما هو واجب البناء. إلى أن استوى العود وبلغت الأمة أشدها فإذا بها المارد الجبار الذي قهر الاستعمار. ورفع لواء الأحرار بفضل المجاهدين الأبرار وللحرية والاستقلال عقبى الدار.

ولقد تفاقم أمر الطلبة حول ابن باديس. وجاؤوا من كل آفاق البلاد. كطليعة رواد تنهل من معين العلم وتتغذى بأسمى الأفكار وتتلقى من المنبع أصول التضحية والجهاد. وكان أولئك الطلبة الوافدون لا يجدون غالباً ما يسدرن به الرمق. فقد كانوا في جهاد عنيف بين الروح وبين الجسم. تلك تريد علماً وهو موجود. وذلك يريد غذاء وهو مفقود.

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام يومئذ ابتكر ابن باديس العظيم مشروع صندوق الطلبة وأعلن عنه للأمة في الشهاب. فإذا بالأموال تتدفق على ذلك الصندوق وإذا بالبائسين من الطلبة يجدون يومياً بواسطته ما يقيهم قاتلة غائلة الجوع. فأقبلوا بأرواح مطمئنة وأنفس طاهرة على العلم الصحيح وعلى الفكر الصحيح. يعبّون من ذلك عباً إلى أن صاروا. أو صار أكثرهم على الأصح. من الدعاة المصلحين ومن العلماء العاملين ومن القادة المؤمنين.

لكن الطلبة ازداد عددهم إلى أن كادت تضيق بهم المدينة الطيبة كما أن عدداً من أوائلهم قد تخرج من تلك المدرسة الصغيرة بحجمها. الكبيرة بأعمالها وبنتائجها فاتحة يومئذ تفكير الرجل العظيم إلى إبراز مدارس التربية والتعليم إلى الوجود. وهي مدارس ابتدائية ما كادت تنشأ حتى انتشرت وعمت. ولقد كان تأسيسها نتيجة تخطيط محكم ودراسة عميقة. بحيث أنها كانت تهيئ الولد الصالح علمياً وفكرياً لولوج مراحل التعليم التكميلي الذي كان يباشره ابن باديس بنفسه. وهكذا أصبحت المدارس الحرة تنمو بسرعة في مختلف جهات البلاد. تسودها فكرة الإصلاح الإسلامي ويغذيها الإيمان بمستقبل الوطن.

وكان رجلنا العظيم إذا خطب أتى بالعجب. كان لا يتكلم بلسانه بل كان يتكلم بقلبه وشعوره وإحساسه. وكانت كل كلمة تخرج من فمه وكأنها السهم الصائب الذي يحيى ولا يميت فمن أصابه ذلك السهم دبت فيه بذور الحياة الأبدية. كان إذا تكلم غاص في بحر حديثه وأغمض عينيه حتى لا يرى الناس إلا بمرآة قلبه وكأنه يناجي كل أحد منهم على انفراد إلى يقنعه. وأشهد أنني ما رأيت فوق رقعة أرضنا هذه خطيباً مصقعاً يصيب المحز ويتغلغل في أعماق العقول والقلوب ويهز المشاعر هزاً عنيفاً كرجلنا العظيم ابن باديس. لقد كان في خطبه أسمى وأعلى مما كان في كتابته. كان يكتب كتابة العلماء المصلحين. وكان يخطب بلسان المدرسين من رجال الفكر والحكمة والسياسة.

وجاءت الساعة الحاسمة. جاءت ساعة ظهور الحق. جاءت ساعة بروز الأمة نحو الحياة الحرة الكريمة الواعية الهادئة. جاءت ساعة تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. فلقد نادينا بها من نادي الترقي ودعونا لتأسيسها مائة من علماء القطر الجزائري لا فرق بين مصلح وبين طرقي.

فلبوا جميعاً النداء في اندفاع إسلامي طاهر نقي. وأموا ساحة نادي الترقي الفسيحة يتلألأ فوق جباههم نور الإيمان ويشرق محياهم بصدق العزيمة. وكان جمعهم أية من آيات إعجاز هذه الأمة الطاهرة التي ما دعية لمكرمة إلا استجابت. وما انفتح أمامها باب من أبواب الأمل إلا ولجته. غير هيابة ولا وجلة. كان ذلك جواباً عنيفاً شديداً قاسياً للاستعمار الفرنسي الأخرق الذي احتفل منذ سنة بمضي مائة عام على احتلال الجزائر وإذلالها وإرضاخها عنوة واقتداراً لأفظع استعمار وأشنع استثمار. ونادى يومها بأعلى صوته: إن الجزائر قد أصبحت فرنسية والى الأبد. وجاء علماء الجزائر وكأنهم أشباح الدراما برزت من أجداث شهداء الحرية والاستقلال يقولون لفرنسا وللعالم الذي كان ينظر وينتظر: كلا. بل الجزائر عربية مسلمة حرة إلى الأبد.

يومئذ فتح أمام رجلنا العظيم. الذي اختير رئيساً بإجماع. ميدان فسيح للعمل والسعي والجهاد. يومئذ رأى عظمة المسؤولية وخطورة الموقف وصعوبة الوصول إلى الهدف. ويومئذ رأينا نحن ويا لعظمة ما رأينا: رجلاً نحيلاً ضامراً طال وطال إلى أن أربى قمم الجبال. رأينا عزيمة قدت من زبر الحديد تجلت فوق الميدان فغمرته وعمرته. رأينا إيماناً يفيض ويشع حتى ملأ البلاد نوراً ويقيناً. رأينا إقداماً على التضحية والفداء يفوق كل ما كنا نعرف عن التضحية والفداء. رأينا الصورة الحقيقة لعبد الحميد بن باديس التي سيطرت وهيمنت على الرجال وعلى الحوادث والتي تضاءل أمامها كل مبطل والتي انهار تجاهها كل جبار عنيد.

جاءنا عبد الحميد يوماً إلى النادي وكنا جماعة ننتظر رجوعه من الولاية العامة. فقال : اليوم أدركت السر في أن محمداً نشأ وعاش يتيماً. فلقد وقفت اليوم أمام والدي محمد المصطفى بن باديس وهو يجلس إلى جانب ميرانت مدير الأمور الأهلية موقفاً أرجو أن يحتسبه الله لي يوم القيامة. فلقد ابتدرني ميرانت بحديث حلو العبارة مر المذاق وقال لي : يا شيخ اترك عنك هذا العار. اخرج من هذه الحشومة ودع هذه الجماعة المسكينة التي جمعها عدو فرنسا بالنادي فليس هؤلاء الرجال رجالك. وليست هذه الحثالة من الطلبة من يفتخر العالم بالانتساب لهم وأن يكون رئيساً عليهم. قال: واستمر على هذا المنوال ودمي يفور وشعوري الجريح يتأجج كأنه نار وحاولت أن أرد الصاع صاعين. وإذا بوالدي وهو كل شيء عندي بالنسبة للحياة الدنيا يقف أمامي ويبكي ويقول: يا عبد الحميد. يا ولدي. ربيتك صغيراً. وعلمتك يافعاً. وفتحت أمامك أبواب الحياة الهنيئة حتى غدوت عالماً تشد إليك الرحال. فلا تفضحني اليوم يا عبد الحميد في شيبتي. لا تشمت بي الأعداء. لا تتركني للمذلة والهوان. هذا حبيبنا مسيو ميرانت لا يريد لنا إلا الخير. وقد مهد لي سبل الوصول إلى المركز الذي أنا فيه. وإن الإعراض عنه هو إعراض عني أنا. والإساءة إليه هي إساءة لي. ورفض طلبه هو رفض طلبي. وقد أمر الله بطاعة الوالدين. فأنا آمرك يا عبد الحميد بالتخلي عن هذه الرئاسة وعن هذه الجمعية. قال: ثم انحنى أمامي وأنا أذوب وأكبّ على رجلي يقبلها ويبكي ويقول: لا تفضحني يا عبد الحميد.

قال: فانتصبت واقفا. وأنا أرتعد تأثراً لا فرقاً وتوجهت لوالدي وقلت: حاشا أن. أعصي لك أمراً أو أن أخالف لك رأياً وأنا ابنك المطيع. إلا أن هذا الذي تدعوني إليه ليس في استطاعتي إطلاقاً. لأنني إذ أطعتك فيه خالفت أمر الله. وأمر الله فوق أمر الوالد بنص القرآن. ولقد وقف محمد عليه الصلاة والسلام مثل هذا الموقف أمام أكابر قومه ووجوه عشيرته فراودوه على أن يترك الدعوة لله وله ما يشاء مقابل ذلك من مال ومتاع فأجابهم الجواب القاطع الصارم: والله لو وضعتم الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر. ما تركته إلى أن يظهره الله أو اقضي دونه". هذه هي كلمتي الأخيرة يا والدي ويا مسيو ميرانت وليفعل الله بعد ذلك ما يشاء. وخرجت لا ألوي على شيء.

قال له علامتنا العظم البشير الإبراهيمي على الفور: طوبى لك يا عبد الحميد وحسن مآب. وقمنا إليه فهنّأناه وذرفنا الدموع جميعاً. فلقد اعتبرنا انتصارنا في تلك المعركة مقدمة لانتصارات باهرة في معارك أخرى آتية لا محالة.

ونشأت جمعية العلماء المسلمين واشتد ساعدها. وكان من أمرها ما كان مما تعرفونه جميعاً. فحياة جمعية العلماء المسلمين قبل معركة التحرير وخلال معركة التحرير جزء كبير من حياة الجزائر. وهي تستعد لخوض معركة من أكبر معارك التاريخ فني العصر الحديث.

يا عبد الحميد. الرجل العظيم. عشت مجاهداً ومت شريفاً وتركت مبادئ ورجالاً. إنك موجود بيننا أبداً يا عبد الحميد. إنك لمن الخالدين.

*** باختصار من كتاب: محاضرات في اللغة والفكر**

في ذكرى ابن باديس*

محمد حمودة بن ساعي

كتب الكثير عن بن باديس وعن حركته باللغة العربية وبالفرنسية ولكن كتابي المتواضع هذا لا ادعي من خلاله تجديد موضوع كان محل دراسة من طرف الكثيرين وخاصة كتاب الاستاذ عمار طالبي الهام الذي يمتد إلى اربع اجزاء . اردت فقط لفت الانتباه وعدم نسيان التقدير الذي كان يكنه الشيخ لي ان اسا هم بشهادة تخصني شهادة فيها الاحترام والتقدير والإخلاص للمبدأ الذي كرس كلانا جهده في خدمته..

جمعية علماء المسلمين

لـما كنت شابا وخلال دراستي بـ"المدرسة" بقسنطينة (حيث تم قبولي بعد أن أجريت مسابقة) كنت أرافق عادة الى مسجد سيدي لخضر أخ جدي لأمي حيث كنت أقيم عنده باتفاق مع أبي. وكنا بعد صلاة العشاء نحضر دروس العامة في التعليم الإسلامي والتي كان يلقيها الشيخ بابن باديس باستمرار كنا نستمع إليه باهتمام بالغ في صمت ديني. بهذه الطريقة بدأت أتعرف على الشيخ بن باديس الذي كان يحدثني عنه بالخير أخ جدي لأمي . لقد كان رجلاً قصيراً ولكن وجهه تعلوه علامات الإيمان.

وما أذكر من دروس الشيخ تفسيره للأربعين حديثا . هذه الأحاديث لسيدنا محمد -صلى الله عليه و سلم- سهلة التذكر. المطلوب من كل المؤمنين المخلصين ان يتفكروا فيها. قد حفظت البعض منها عن ظهر قلب وهي موجودة في كتيب الشيخ النووي. فالشيح ابن باديس قد حببني فيها. وذات مساء بالقرب من ساحة "دي قاليت" التقيت بأستاذي المحترم الشيخ ابن العابد الذي كان ذاهبا الى زاوية سيدي فتح الله فنبهني الى غيابي عن حضور دروسه فقد كنت من تلاميذته المواظبين على دروس "التوحيد".

ولما كنت مبهورا بدروس الشيخ ابن باديس فقد أجبته بأنني افضل سماع هذه الدروس الجديدة بالنسبة إليّ. فالأربعين حديثا كانت تهزني على وجه الخصوص وكأنها كانت تتحدث الى أحاسيسي وتلخص بالنسبة إليَّ في اختصارها ووضوحها الأخلاق الإسلامية وما كان من الشيخ ابن العابد الذي تفهمني إلا أن تبسم وقال لي: "بما أنك تحب الحديث فإنني أسامحك". بعد ذلك وفي سنة 1925 أراد الشيخ توسيع حركته لتنوير الطبقات الشعبية الغارقة في الجهل والظلامية. فأسس جريدة "المنتقد" ثم جريدة " الشهاب". ولما كنت متعطشا للمعرفة وميالاً إلى الجديد كنت أقراهما بنهم ولما كان أبي يعطيني الدراهم كنت اذهب باستمرار الى قسنطينة لرؤية الشيخ ومقابلته في مكتبه في شارع الكسيس لامبير ولأطرح عليه أسئلة كانت تؤرقني وكان يجيبني... ويعطيني شروحات طويلة. كانت بالنسبة لي دروسا حقيقية.

وأحياناً كان يقول لي: "ارجع غدا حتى تمكنني من مراجعة كتبي"

في أحد الأيام وكنت قد كتبت رداً طويلاً على مقال لأحمد زركين وكان جراح اسنان ومستشار بلدي في قسنطينة حيث انتقدت فيه بقوة "سياسة الإدماج"(وكانت تعد عند كثير من مثفينا الدواء الشافي لكل أمراضنا) فأخذته الى الشيخ ابن باديس وبعد أن قرأه بتمعن قال لكاتبه المرحوم أحمد بوشمال ممتدحا أياي: "لم أكن أظن أن لنا في شبابنا عقولاً قادرة على التفكير كهذا الشاب". لكن الشيخ كرجل قدَّر أن الوقت غير موات لنشر مثل هذه الدراسة وامتداحها - إذ ان هذه الدراسة كانت أول كتاباتي باللغة العربية- قد أثرت في تأثيرا عميقا. بحيث بقيت أذكرها دائما.

في افريل 1929 بعد أن التحقت كمحرر مترجم في جريدة " النجاح" الصادرة بالعربية في قسنطينة وكان يديرها الرجل الفاضل الشيخ عبد الحفيظ بن الهاشمي ويتعاون معها معلمي الشيخ ابن العابد قمت بتقرير طويل لمحاضرة قام بها الكاتب بيار باراف وكان عنوانها: "اليهودية في الأدب الفرنسي" وكان ذلك في الكازينو امام حضور متميز من رجال ونساء وكان بيار باراف وهو من يهود فرنسا يتحدث جيّداً وقد قدم محاضرة متميزة. سمعته باهتمام بالغ وقمت بتقديم ملخص أمين- وهو أمر غير متوقع في الصحافة الخبرية الصادرة بالعربية - وقمت بتقديم جملة من الملاحظات بالنسبة لقراء"النجاح" كان ذلك أمراً جديداً. وكان المدير سي عبد الحفيظ في غاية السرور وجاء الناس يهنئونني على الأسلوب وكنت أجيبهم: هنئوا معلمي الشيخ ابن العابد الذي علمني وهو هنا حاضر معكم. وكان الشيخ متأثرا. والشيخ ابن باديس الذي يسكن قريبا أحب أن يراني شخصيا وهنأني بحرارة. لقد كان يحب الثقافة. بعد ذلك وفي إحدى المرات أردت التنديد بالسياسة الانتخابية المبنية على الكذب والسمسرة حررت مقالاً طويلاً تحت عنوان أخاذ: "سراب السياسة والدعوة الى هداية القرآن". وقد كان له أثر. وتلقيت رسالة تهنئة من القطاع الوهراني. وفي باتنة لما قرأ قاضي المحكمة الشيخ كاتب مقالي شكرني. وكان أستاذي بن العابد مسرورا بي أما الشيخ ابن باديس فقد جاء ليراني مرة اخرى وكان وجهه مشرقا مستبشرا لقد عبرت بصورة عن افكاره الخاصة. لن أنسى أبدا هذه البهجة التي علت ملامح الشيخ. لقد كان يحب القرآن حيث قام بتفسيره خلال ما يقارب نصف قرن. وقد كان الشيخ يتبع آثار أستاذه الشيخ محمد رشيد رضا الذي هو بدوره كان تلميذاً للشيخ محمد عبده. ذات يوم أراد الشيخ على ما بدا لي أن يشجعني أتاني بتفسير " القرآن الكريم " و أعارني إياه. وبقي عندي مدة ثلاثة أشهر وسجلت إثر ذلك الكثير من الملاحظات . في أحد الأيام وكنت اتجاذب أطراف الحديث مع الشيخ في مكتبه (وكنت أذهب باستمرار لأراه) حدثته عن بيتهوفن المؤلف الموسيقى الألمانية الموهوب فقال لي إنه يعرفه. وحدثته أيضا عن سقراط فقال لي: "إنه شيخ الحكماء".

وكان تحت مظهره كشيخ في الدراسات الدينية فقد كانت له رؤى واسعة ويمكن إدراجه ضمن طبقة كبار دعاة الأناسة الغربيين فقد كان متساميا ومن أولئك الذين أحبوا الخير للإنسانية قاطبة.

عدت إلى باتنة بطلب من أبي ثم ذهبت إلى فرنسا لمواصلة دراستي ولن أنسى التوصية الحكيمة التي كان يوصي بها ابن باديس الطلبة الشباب حيث كان يقول لهم: "عليكم ببذل الجهود حتى تحصلوا معارف هامة ولا تهتموا بهواجس الشهادات التي هي عبارة عن "شهادات" قد يرفضونها لكم". وفي باريس لم ينس الشيخ وكان يبعث لي أعداد مجلة "الشهاب" وكذلك الصحف الدورية التي كانت تصدرها جمعية العلماء. وبعد فترة أجريت عملية جراحية في مستشفى شاريتي ماي 1933 فأرسل لي الشيخ ابن باديس رسالة مكتوبة بخط يده يدعوني فيها للانخراط في صفوف جمعية العلماء فأجبته بأنني لا أقدر على الانخراط ولكنني سأبقي وفيا للمبدأ الذي أسست من أجله. وكانت لي اعذاري في ذلك . وكان أبي في شبابه قد تلقى تعليماً عربياً في الأوراس(أين كان الكثير من الناس يتعلمون القرآن) وفي قسنطينة وتبسة عن طريق الزوايا وبقى يعترف لها بالجميل. وكان لا بد ان أخد بعين الاعتبار مشاعره. فيما يخص جمعية العلماء التي في بداية عهدها قد تقبلت بدون تحفظ انخراط أعضاء من الزوايا ما فتئت أن غيرت موقفها منهم مما أدى إلى تباعد قاس. وانقسامات بين المؤمنين وكان المفروض أن يتحدوا ويتآخوا وللأسف نسينا النصيحة الحكيمة للشيخ محمد رشيد ر ضا "فلنتحد فيما نتفق عليه وليعذر بعضنا بعضا فيما نختلف فيه".

في سنة -1936 بعد فوز الجبهة الشعبية في الانتخابات في فرنسا التي خيبت آمال المسلمين الجزائريين- جاء وفد من المنتخبين بمشاركة العلماء إلى باريس يمثلون "المؤتمر الإسلامي الجزائري" الذي مثل إجماع أغلب الشعب. وقدم مجموعة من المطالب وكانت تستحق أن تؤخذ بعين الاعتبار. وفي "النزل الكبير" بالقرب من "ساحة الأوبرا" رأيت الشيخ ابن باديس ومعه الشيخ العقبي والشيخ البشير الإبراهيمي. ورأيتهم مرة أخرى في مقهى " الهقار"- وهو مقهى له طابع شرقي يرتاده الشباب من الطلبة ويقع في الحي اللاتيني- وكنت أقدم له فيه بعض الأصحاب من المصريين الذين كانوا يحضرون أطروحات دكتوراه في القانون. وكان فخوراً برؤية هذا الشباب العربي المثقف(كان من ضمنهم مصطفى كمال الذي أصبح فيما بعد سفيراً للجمهورية العربية المتحدة في واشنطن) وقد أخذنا بحلاوة حديثه لمدة ساعة كنت مسروراً بالاستماع إليه وكان أصحابي من المصريين يستعمون إليه في صمت رهيب. ولم يكونوا يتوقعون أن يجدوا أنفسهم مع شيخ مثل هذا الشيخ.

لم أنس هذه الأمسية الخالدة. لم أنس أيضا أنه في صيف عام 1935 لما علم الشيخ ابن باديس بأنني أشتغل كعامل يدوي في مصنع الإسباني سويزا في "بوا كولومب" بكى وتساقطت الدموع من عينيه وقال لأحد الزملاء من الطلبة الذين أبلغوه بحالتي "لماذا لم يكتب لنا؟ عندنا صندوق خاص بإعانة الطلبة الفقراء".

لم ينجح الوفد الجزائري في الحصول على شيء من حكومة الجبهة الشعبية التي كان على رأسها "بلوم فيوليت" وعاد إلى الجزائر. والشيخ ابن باديس فهم أن اشتراكية الجبهة الشعبية لم تكن إلاّ سراباً وتغليطاً وأن الاستعمار الفرنسي سيبقى مصما آذانه لنداءات الإنسانية والعقل. كتب مقالاً هاماً تحت عنوان أخاذ "فلنتكل على الله ولنعول على أنفسنا". ولم التق به منذ ذلك الحين إلى أن وافاه الأجل المحتوم. وقبل أن يتوفاه الله إليه تحدث عني بهذه الكلمات- حسب ما أفادني به صاحبه المخلص المرحوم الشيخ عبد الحفيظ الجنان-: "إنه من أحسن شبابنا الذين درسوا في فرنسا.

في 16 أفريل 1940 ذهبت الى قسنطينة لحضور تشييع جنازته وقد انحنيت باحترام أمام جثمانه تأملت طويلا في وجهه بغية قراءة آخر أفكاره.

•في سبيل عقيدتي(فصل من كتاب قسنطينة بين الماضي والحاضر) قيد الطبع .

حوار مع الناطق الرسمي باسم ملتقى الشيخين : التهامي مجوري

☐ الجمعية ليست مجرد جماعة دينية، وإنما كانت ولا زالت حركة إصلاحية، ذات أبعاد حضارية عميقة.

☐ إن أبناء الجمعية لا يشعرون أن بين أيديهم مشروعا متكاملا يمكن إعادة صياغته من جديد.

أجرى الحوار : عبد القادر قلاتي

أيام قليلة تفصلنا عن الملتقى الدولي الذي اخترتم موضوعه عن الشيخين ابن باديس والإبراهيمي، كيف جاء هذا الاختيار؟

○○بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد

إن هذا الإختيار في الواقع قد فرضته المناسبة، مناسبة يوم العلم وذكري تأسيس الجمعية، وأصل فكرة الملتقى هي للأستاذ محمد الهادي الحسني، وباركها السيد رئيس الجمعية الدكتور عبد الرزاق قسوم، واحتضنها المكتب الوطني. اما المناسبة فكما لا يخفى عليكم أن الجزائر في يوم 16 أفريل من كل عام تعيش حراكا علميا وثقافيا، بمناسبة يوم العلم الذي اتخذته الجزائر مناسبة للتذكير بأهمية هذه الفضيلة. ويوم العلم لا يمكن فصله عن جمعية العلماء ورئيسها الأول العلامة الشيخ عبد الحميد ابن باديس، لا سيما أن يوم العلم هو تاريخ وفاته رحمه الله، ولا يفوتني هنا الإشارة إلى قضية مهمة وهي ان هناك من تأذى بهذا الربط بين فضيلة العلم ووفاة الشيخ ابن باديس، حيث اعتبر بعضهم أن ذلك تفضيلا للجمعية على حساب جهات أخرى، وادعى بعضهم ان ربط هذه الذكرى بتاريخ وفاة عالم، مذمة للعلم والعالم؛ بل أشيع العام الماضي سنة 2014، بمناسبة يوم العلم ان جمعية العلماء طلبت تغيير ذكرى يوم العلم من تاريخ وفاة رئيسها الأول إلى تاريخ تأسيس الجمعية وهو 5 ماي، وهذه الإشاعة لا أساس لها من الصحة، لأن ما يهم المجتمع الجزائري من هذه المناسبة هو التذكير بفضيلة العلم وأهميته، وليس اليوم لذاته؛ لأن الأيام كلها أيام الله، ولكن الذين في قلوبهم زيغ، يتتبعون الأشكال ويغفلون عن المضامين حسدا من عند أنفسهم، وهذه المناسبة التي اخترناها لملتقى الشيخين، هي المناسبة تجمع بين ذكرتين، الذكرى الـ75 لوفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي توفي في يوم 16 أفريل 1940، والذكرى الـ50 لوفاة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، الذي توفي في يوم 20 ماي 1965، إلى جانب هاتين الذكريين، ذكرى تأسيس جمعية العلماء تأسيس جمعية العلماء الذي يصادف يوم 5 ماي.

يدور الملتقى حول موضوع مهم اصطلحتم عليه عبارة "من التغيير إلى التحرير" ماذا تعني هذه العبارة بالضبط؟

○○حقيقة الموضوع مهم وملفت وحيوي، ورغم ان الموضوع يحمل المسحة التاريخية، وهي تجربة الشيخين رحمهما الله في الإصلاح والتغيير، ما بين 1913 تاريخ إطلاق فكرة التغيير إلى غاية 1954 تاريخ إطلاق فكرة التحرير. وتجربتهما في واقع الحال هي تجربة الجمعية التي أسسا لبذورها قبل تأسيس الجمعية بـ18 سنة، أي سنة 1913 كما أشرنا إلى ذلك، ببناء حركة اجتماعية مبناها على فكرة صحيحة ولو بعلم قليل، ومنطلقها قوله تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم).

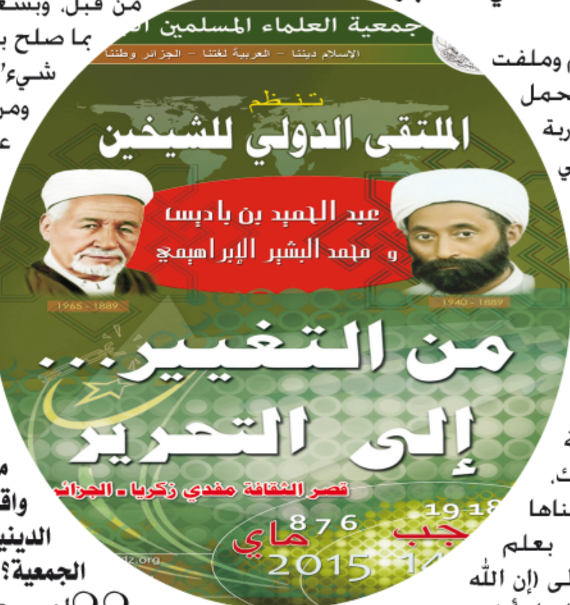

فكانت فكرة التغيير التي نفخا فيها من روحيهما، هي العمود الفقري لحركة التحرير الوطني؛ لأن حركة العلماء خلال النصف الأول من القرن العشرين، هي التي أعادت للشعب الجزائري روحه التي طمسها الاستدمار الفرنسي، من خلال مسخ هويته وتاريخه.

قلت رغم تلك المسحة التاريخية للموضوع، إلا أن ذلك تجربة قابلة للتكرار في كل زمان وفي كل مكان، والعملية الإصلاحية والتغييرية لا يستغني عنها وعن مبادئها أي مجتمع في التاريخ، والشعب الجزائري يمكنه ان يستلهم من هذه التجربة الثرية الكثير؛ لأن العلماء هم سراج الأمم، حيث لا يموت فيهم إلا العنصر الترابي كما قال علماؤنا، اما مبادئهم والقيم التي عاشوا من اجلها فإنها باقية؛ بل إن العلماء ورثة الانبياء، وهم أيضا يورثون أقوامهم ما يورث الأنبياء أقوامهم.

هلا حدثتمونا عن أهم المحاور التي يدور حولها هذا الملتقى؟

○○سيغطي الملتقى بإذن الله جملة من الأمور، او قل سيعرض لتجربة علمائية ثرية يمكن ان يستفيد منها كل من يبحث عن الفائدة، العالم والسياسي والمفكر والمربي والداعية... وهلم جرا. إن عرض تجربة شخصيتين من أمثال ابن باديس والإبراهيمي، يعني عرض تجربة غير عادية؛ لأنها تجربة لرائدين مغاربيين، من جيل الرواد العرب والمسلمين... فهما يمثلان جيلا من المفكرين والدعاة والسياسيين غير الحزبيين.

هناك مشاركة عربية وإسلامية في هذا الملتقى، كيف تم انتقاء هذه الأسماء؟

○○نعم هناك مشاركة واسعة من إخواننا في العالم العربي والإسلامي، من المغرب العربي ومن تركيا والعربية السعودية ومن الجالية الإسلامية في فرنسا، والبرنامج بين أيديكم يمكنكم الإطلاع على الأسماء التي استجابت لدعوة الملتقى، أما فيما يتعلق بالانتقاء فليس هناك انتقاء أو اختيار بهذا المعنى، وإنما هناك معيار لاستضافة الضيوف والمحاضرين، فمن ذلك الذين كتبوا عن الشيخين وعن الجمعية، والذين لهم حضور وعلاقة بموضوع حركة التغيير والتحرر في العالم الإسلامي، وكذلك الذين تقدموا بمساهمات استجابة للدعوة إلى المشاركة في الملتقى من خلال الدعوة إلى المشاركة.

لا شك أن المشروع الإصلاحي لجمعية العلماء يشكل هاجساً لكلّ محب لهذه المدرسة الإصلاحية العظيمة، أين تسير الجمعية في ظلّ التغييرات الحاصلة في عالمنا العربي والإسلامي؟

○○إن مشروع جمعية العلماء تعرض لانقطاع بعد الاستقلال، حيث حرمت الجمعية وحرم رجالها من مواصلة مشروعها بعد الاستقلال، فحرم بذلك المجتمع الجزائري خيرا كثيرا، ولكن مع ذلك فإن مجرد عودتها واستئنافها النشاط مبشر بالخير.

لقد عادت الجمعية وهي الآن منتشرة عبر ربوع الوطن وتقوم ببعض دورها المنتظر منها، وهي سائرة على نهجها الذي سارت عليه من قبل، وبشعاراتها الأصيلة "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"، "الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء"، "فلنعتمد على أنفسنا ونتكل على الله"، ومن ثم فإن الجمعية تسير وفق منهجية تعمل على جبهتين: جبهة البناء الذاتي بالاهتمام ببناء الإطار الرسالي الصالح، وتحويل الجمعية إلى مؤسسة جامعة لقوى المجتمع الحية، وجبهة ردم الفجوات التي أحدثتها الحزبية والتعصب السياسي والديني اللذين ما زال يجترهما بعض قصر النظر، سواء أو من الحزبيين السياسيين أو المذهبيين الفئويين.

هناك تصورات عديدة بدأت تأخذ مجالها في إدارة المؤسسات، هل تفكر الجمعية في أن تتحول إلى مؤسسة حديثة يقوم نشاطها وفق آليات قانونية واقتصادية، أم أن ضغوط التاريخ وفكر الجماعة الدينية مازال يشكل المساحة الأوسع في حركة وسلوك الجمعية؟

○○إن جمعية العلماء منذ تأسيسها لم تكن في يوم من الأيام، مجرد جماعة دينية، وإنما كانت ولا زالت حركة إصلاحية، ذات أبعاد حضارية عميقة، ولذلك كانت دائما تعمل على إيجاد العنصر الصالح، سواء في القيادات او جماهير الشعب.

فهي تعمل وفق منظورها للواقع الاجتماعي وحاجاته، ورسالتها المساهمة في بناء المجتمع، فهي لا تدعي أنها بديل لأية جهة من الجهات الشعبية والرسمية، وإنما هي تشعر أن عليها واجبات شرعية وتاريخية ووطنية، ومن ثم فهي مؤسسة دعوية إصلاحية، تقوم بما تمليه عليها واجباتها ووفق إمكانياتها وحاجة المجتمع.

صحيح أن التاريخ لا يزال هو المهيمن على فكر المنتسبين للحركة الإسلامية ومنهم أبناء جمعية العلماء، ولكن الواقع يضغط بقوة على هذه الذهنيات التي لم تتغير، وذلك أنجب طاقات هائلة من شباب الجمعية، وجيل جديد من الدعاة والمصلحين، قد وفقهم الله إلى تلمس مشكلات الأمة، وهم اليوم يشقون طريقهم في الواقع، وهم أمل النهوض بجمعية العلماء وأمل جزائر المستقبل التي حلم بها ابن بادسي والإبراهيمي رحمهما الله

كيف تقيمون وضع الجمعية في الواقع الثقافي والسياسي والاجتماعي الجزائري، في التحولات التي طالت كل هذه المجالات..؟

○○واقع الجمعية رغم الجهود المبذولة لم يرتق بعد إلى المستوى الذي نطمح إليه، وكذلك مستوى التحولات التي نشهدها ونوعيتها كل ذلك ليس في المستوى المطلوب؛ بل إن أبناء الجمعية لا يشعرون أن بين أيديهم مشروعا متكاملا يمكن إعادة صياغته من جديد يصلح للنهوض بالجزائر من جديد، أو يساهم في تحيين الواقع الجزائري.

تقصد الفئات المختلفة داخل الجمعية الذين يعتبرون أنفسهم ورثة للجمعية؟

○○لا أقصد ذلك بالضبط، وإنما أقصد أن أبناء الجمعية لم يرتقوا في تصوراتهم إلى مستوى الجمعية وفق منهجيتها التاريخية، سواء من جهة التأصيل أو من جهة المنهجية والإسقاطات العملية، وعلى ذكر ورثة الجمعية، فهؤلاء الوارثون هو وارثون للجمعية حقيقة لارتباطهم بالإسلام ارتباطا مصيريا، ولكنهم ورثة كورثة التركات، منهم من ورث النصف ومن من ورث الثلث ومنهم من ورث الثمن والسدس... وهكذا، ونحن نريد للجمعية أن تعود بكمالها وكمال منهجيتها، في ممارسات أبنائها في الواقع، ويساهم أصحاب هذه النسب كل بما فتح الله عليه وأكرمه من فهم وجهد ومال، في إطار مشروع اجتماعي وطني إسلامي متكامل، تذوب فيه الخصوصيات المذهبية والعرقية والثقافية.

هل هناك حاجة لجمعية العلماء اليوم، في هذا الجو من كثرة الأحزاب والجمعيات والمبادرات الرسمية؟

○○بكل تأكيد.. والإخفاقات في البلاد أكبر شاهد على حاجة الجزائر لجمعية العلماء، لا سيما في المجال الإصلاحي الشامل الذي لا يزال يتخبط في الجزئيات الحزبية القاصرة، فالمنظومة التربوية لا تزال غارقة في صراع المعربين والمفرنسين، والجانب الثقافي والاجتماعي والاقتصادي قد ابتلعته العولمة المتوحشة، أما الجانب السياسي فما هو إلا انعكاس لتلك المشكلات التي تضغط على الأمة برمتها، وجمعية العلماء، تملك من التصور المرجعي الاستقلالي ما يؤهلها للمساهمة في الحفاظ على خصوصيات الجزائر الوطنية والإقليمية.

كلمة أخيرة

○○أدعو أبناء الجمعية إلى التشمير على ساعد الجد، لبناء جيل جديد من النخبة العاملة للإسلام وللجزائر، كما عمل أسلافنا لذلك، وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون.

الملتقى الدولي للإمامين:

عبد الحميد بن باديس(1889-1940)، ومحمد البشير الإبراهيمي (1889-1965)

تحت شعار: «من التغييــر إلى التحريــر»

برنامج الـملتقــى

اليوم الأول: الأربعاء 2015/5/06 الـموافق لـ 17رجب 1436هـ:

الجلسة الافتتاحية:

التوقيت	النشاط
11:15-10:00	- تلاوة مباركة للذكر الحكيم - النشيد الوطني/ نشيد: شعب الجزائر مسلم - كلمة رئيس الجمعية أ.د.عبد الرزاق قسوم - كلمة الهيئات الرسمية - كلمة مثل الوفود الدكتور محيي الدين علي القره داغي - قصيدة شعرية
11:30-11:15	استراحة

الجلسة الأولى الصباحية: رئيس الجلسة: أ. محمد الهادي الحسني / المقرر: أ. سامية بن شايب

التوقيت	النشاط
13:15-11:30	- المحاضرة الأولى: د. عبد المجيد النجار (تونس) - المحاضرة الثانية: د. مفيدة الهامل (قسنطينة) - المحاضرة الثالثة: أ.د . عمار الطالبي - مناقشة
15:00-13:15 15:00-14:30	صلاة الظهر/ وجبة غذاء عرض شريط عن حملة الإغاثة لغزة

الجلسة المسائية الأولى: رئيس الجلسة: رئيس الجلسة: أ.د بورديم / المقرر: أ. التهامي بن ساعد

التوقيت	النشاط
17:00-15:00	- المحاضرة الأول: أ.د أحمد جاب الله (فرنسا) - المحاضرة الثانية: د. نور الدين الخادمي (تونس) - المحاضرة الثالثة: د. محمد الأمين بلغيث (الجزائر) - مناقشة
17:15-17:00	**صلاة العصر**

الجلسة المسائية الثانية: رئيس الجلسة: رئيس الجلسة: الشيخ بن يونس آيت سالم / المقرر: أ. عبد القادر قلاتي

التوقيت	النشاط
18:30-17:00	- المحاضرة الأول: د. محمد الدراجي (جامعة الجزائر) - المحاضرة الثانية: د. خليل النحوي (موريتانيا) - المحاضرة الثالثة: د. عبد الحفيظ بورديم (جامعة تلمسان) - مناقشة

اليوم الثاني: الخميس 2015/5/7 الموافق لـ 18رجب 1436هـ

الجلسة الصباحية الأولى رئيس الجلسة: أ.د.فاروق الصايم / المقرر: أ. علي بن زادي

التوقيت	النشاط
11:15-09:00	- المحاضرة الأولى: د. احسان مصطفى قاسم (تركيا) - المحاضرة الثانية: د. حمزة بلقاسم - المحاضرة الثالثة: أ. لخضر شريط - مناقشة
11:30-11:15	استراحة

الجلسة الصباحية الثانية: رئيس الجلسة أ . مصطفى بن عبد الرحمن / المقرر: أ. تسعديت بلحوت

التوقيت	النشاط
13:00-11:30	- المحاضرة الأولى: د. علي محي الدين قره داغي (قطر) - المحاضرة الثانية: د. أمينة بشي (جامعة الجزائر) - المحاضرة الثالثة: د. مازن مطبقاني (المملكة العربية السعودية) - المناقشة
15:00-13:00 15:00-14:30	**صلاة الظهر / وجبة الغذاء** عرض شريط المشاريع الرسالية

الجلسة المسائية الأولى / رئيس الجلسة: د. سعيد شيبان / المقرر: أ. مختار بوناب

التوقيت	النشاط
17:00-15:00	- المحاضرة الأولى: د. إسماعيل نواهضة (فلسطين) - المحاضرة الثانية: د. عبد المجيد بيرم (جامعة الجزائر) - المحاضرة الثالثة: د. محمد الهادي الحسني (جامعة الجزائر) - المناقشة
17:15-17:00	**صلاة العصر**

الجلسة المسائية الثانية: رئيس الجلسة د.عبد القادر فضيل / أ. قدور قرناش

التوقيت	النشاط
18:30-17:15	- ندوة: - المحاضرة الأولى: د. السعيد بويزي (تيزي وزو) - المحاضرة الثانية: د. محمد بابا عمي - المحاضرة الثالثة: د. فارس مسدور (جامعة البليدة) - المناقشة

اليوم الثالث: الجمعة 2015/5/8 الموافق لـ 19رجب 1436هـ

الجلسة الصباحية الأولى: رئيس الجلسة: أ.د صالح دجال المقرر: أ. عبد الرحمن بن دمارجي

التوقيت	النشاط
10:30-09:00	- المحاضرة الأولى: د. مولود عويمر (جامعة الجزئر) - المحاضرة الثانية: د. عمار جيدل (جامعة الجزائر) - مناقشة

الجلسة الختامية:

التوقيت	النشاط
12:00-10:30	- قراءة التوصيات - البيان الختامي - كلمة ختامية وجبة الغذاء / صلاة الجمعة

الإبراهيمي ... منظرا في علم الاتصال الإنساني

كيف فَهم الإبراهيمي مسألة الاحتفالات والتجمعات الإنسانية؟

مع اقتراب كل موعد انتخابي، وقبل حلوله، تبدأ -كما هي العادة في أي انتخابات في الدنيا- الحملات والتجمعات واللقاءات الجماهيرية، إلى جانب أنواع أخرى من الأنشطة الدعائية، وفي كل الأحوال فهي، وإن حملت طابع الحملات الانتخابية الدعائية، فلن تخلو من لقاءات وكلمات وخطب وكلام وأحاديث، باعتبار أن كل اجتماع بشري لا بد فيه من متكلم ومستمعين، ومخاطب ومخاطبين.

بقلم: حسن خليفة

تذكرت -وأنا أتخيل تلك المئات من التجمعات التي ستحدث في الانتخابات عادة ـ في كل ولاية ودائرة وقرية ومشتى، وما يُبذل فيها من عناء واستفراغ للجهود والطاقات، حتى تتعب النفوس والأبدان.إلى جانب "وديان" من الأموال تذهب شمالا ويمينا في شكل مصاريف ونفقات. كما تخيلتُ أيضا شريط أخبار الحملات واللهاث وراء "الأصوات" حتى تبح الحناجر وتنقطع الأنفاس، استعطافا حينا، وإطلاقا لوعود كبيرة، صادقة كانت أم كاذبة، أحيانا أخرى.

تذكرت كلمة جليلة للشيخ العالم محمد البشير الإبراهيمي، وأنا استعرض في الخيال كل تلك "الكرنفالات" التي تُقام هنا وهناك، في بلدنا، كما في بلدان أخرى ـعربية وإسلامية ـ بمناسبات مختلفة، سياسية ، اجتماعية، ثقافية الخ ..وقد وجدتُ في كلمة الإبراهيمي الدواء الشافي لكل ما يتصل بالاجتماع الإنساني/البشري، وضروبه وأنواعه. ووجدتُ رجلا أقرب إلى أن يكون منظّرا شامخا للشأن الإنساني في الاجتماع والاتصال الإنساني، في مختلف وجوهه وضروبه وأنواعه فأحببتُ أن أشير إلى هذه الكلمة الرائعة، آملا أن تجد من خبراء اختصاصات علم النفس الاجتماعي، والاتصال، والسياسة، والدين ما يسمح بالاستفادة منها .

حملت كلمة الإبراهيمي من المعاني الرائعة الجميلة والقيم السامية الرفيعة ما يحق الاعتداد والافتخار به والعمل بمقتضى المراد فيها لمن يريد حسن العاقبة، وهي ذات صلة وثيقة بموضوعنا المتعلق بالتجمعات واللقاءات والندوات والملتقيات والاحتفالات عموما.

في معنى الاحتفالات واللقاءات

بدأ الشيخ كلمته التي حملت عنوان " كلمة في الاحتفالات - ولنتذكر أنها نُشرت قبل أكثر من سبعين عاما* .بدأ بتعريف الاحتفالات فقال:

"الاحتفالات بنظامها العصري مجامع مفيدة من جميع جهاتها، لجميع روادها.فهي بالنظر العام أدوات تعارف وتواصل وربط بين من لم تتهيأ لهم أسباب الاجتماع إلا في مثل هذه الاحتفالات. وأسواق بضائعها الخطب والمراجعات القولية، وأرباحها الايجابية آداب الاجتماع وتلاقح الأفكار،واقتباس الكلمات واستيقاظ الهمم، واستعجال الآراء وانتشال التفكير من المستوى العامي الغث وصقل الأذهان(...)

وفصل في المسألة فقال: "وهي للدعاة ميادين دِعاية يجدون فيها متسعا رحبا لنشر آرائهم بدون كُلفة وبدون نفقة؛ لأنها تحشد لهم طبقات من الناس ما كانوا ليستطيعوا جمعها. وهي للمرشدين والمربين الاجتماعيين فرص لبث الإرشاد بين الجمهور وتوجيهه للخير والمنفعة.وهي للخطباء وأصحاب اللسن ذرائع تمرين وارتياض على الكلام وتوسع في وجوه القول وتمرس بمكافحة الجموع، وهذه كلها فوائد لا يُستهان بها في باب التربية". ثم أشار إلى تفاوت منزلة تلك الاحتفالات والتجمعات باختلاف أسبابها وعلو مقاصدها، فقال:

"تتفاوت الاحتفالات بتفاوت سمو المعاني التي تُقام لأجلها، فبقدر سمو السبب وعموميته تكون قيمة الاحتفال، ثم تنزل تلك القيمة وترخص كلما تفه(من التفاهة) السبب حتى تصل إلى درجة الساقط الذي لا وزن له(...) فأسمى هذه الأسباب ما يذكر الجمهور بأمجاده التاريخية ومفاخره القومية، وفيه نخوة أماتها الضيم،وفحولة قضى عليها التأنث وأصالة خبثتها الأعراق الدسيسة، وعزمة أطفأتها طباع الضعف والفسولة ، وأريحية غطى عليها اللؤم المخزي والشح المطاع ...ثم ما يجلو حقيقة دينية أو علمية غشيتها الأوهام والخرافات، ثم ما يحقق مصلحة في الحياة كانت مجهولة أو حقا فيها كان ضائعا، ثم ما يكشف له عن وجوه الإصلاح الاجتماعي ليعملوا له، وعن وجوه الفساد فيه ليتقوه . هذا من جهة الأسباب والبواعث. فأما من جهة الأشكال والصور فأعلى ما فيها أن ينساق إليها الجمهور بسائق وجداني .وأخس ما فيها أن يُساق إليها سوقا، أوأن يخدع فيها عن وجدانه بالمرغبات الخادعة".

ما أروع تلك المعاني مسوقة في نسج لغوي بديع ورائع، وبالطبع لم يفت الشيخ الإبراهيمي،كعادته في التوجيه والتسديد أن يشير إلى كثير من أنواع الاحتفالات والتجمعات الفاسدة والمفسدة لدى بعض المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها،كاحتفالات المصريين بالموالد كمولد البدوي والرفاعي وغيرهما، فذلك النوع كما يقول الشيخ الإبراهيمي: "زيادة على إفساده للدين والأخلاق، لا يثير في النفوس ذكريات ماجدة، ولا معاني شريفة، وإنما يمكن فيها للتخريف والدجل". كما أنه لم ينس وهو في مقام الحديث عن الاحتفالات والتجمعات الشعبية، الإشارة اللماحة إلى احتفالات الشيعة والمتشيعين فقال:

"ذلك النوع الشائع في الأوساط الشيعية من احتفالهم يوم عاشوراء بذكرى مقتل الحسين عليه السلام فإنه فضلا عما يقع فيه من المنكرات المخجلة، لا يثير إلا الحفائظ والإحن ولا يثمر إلا توسيع شقة الخلاف(...) ثم يضيف: لا "نرضى للمسلمين بهذا الطراز البالي من الاحتفالات التي ذكرنا بعض أنواعها، فقد عكفوا عليها قرونا فما زادتهم إلا خبالا وانحطاطا،وإنما نريد منهم محوها واستبدالها بما هو خير" .

خلاصة ... وتذكير

تلك رؤية ثاقبة لعالم جليل لعلنا نستطيع الإحاطة بها والاستفادة منها في الارتفاع بمستوى جميع أنشطتنا وتجمعاتنا وفعالياتنا واحتفالاتنا. ومادام الأمر متصلا بالحملات الانتخابية خاصة، فمن الحق أن نتساءل: إذا كانت الحملات الانتخابية مناسبة لنشاط واسع رهيب في مجال الحديث والكلام والشرح والتفسير والتوعية، فكم منها سيكون في المستوى، بما يفيد وينفع، بما يجعلها بحق "مجامع مفيدة من جميع جهاتها".؟

كما نحب أن نسجل ونذكر أيضا: إنه مثل الحملات الانتخابية هناك المئات إن لم نقل الآلاف من الأنشطة الاجتماعية والاحتفالات واللقاءات والملتقيات والجمعيات العامة، عُقدت -في الماضي- و تُعقد في الحاضر وستُعقد في المستقبل: كم منها اصطبغ بصبغة سمو المعنى وشرف المقصد ونُبل الهدف، وكم منها انتهى إلى نتائج عادت على المجتمع بالنفع والخير والفائدة؟ ولمَ لا نحرص كل الحرص على تأكيد ذلك في تجمعاتنا ولقاءاتنا، فتكون تلك النشاطات أعمالا حقيقية، في التربية والتوجيه والتوعية والإفادة، أيا كانت المناسبة؟. ومثل اللقاءات والتجمعات هناك الاحتفالات الدينية المخصوصة والمناسبات الوطنية الكثيرة، ومنها المولد النبوي الشريف، واحتفالات يوم العلم فأين ننزلها من بين أنواع الاحتفالات النافعة المفيدة، أم الفاسدة الضارة؟.

إنها أمانة ثقيلة، ومسؤولية كبيرة يجب الارتفاع إلى مستواها، و استثمار اجتماع الناس فيها لإفادتهم وتحقيق النفع لهم، والحرص على أن يكون ما يُنفق فيها من جهود وطاقات وأموال مستأنسا بالشروط الآنفة الذكر. ويبقى أن نقول :إن المسؤولية الكبرى تقع على المتحدثين والخطباء بصفة خاصة ولنترك للشيخ الإبراهيمي الأسطر الأخيرة من هذه المقالة، لبيان المقصد. يقول:

"إن أكثر الناس استفادة من الاحتفالات وأبلغهم إفادة فيها وأثقلهم عهدا في توجيهها إلى الصالح النافع أو الفاسد الضار هم الخطباء فعليهم وحدهم يتوقف إصلاحها أو إفسادها."

فليتق الله...أولئك الخطباء والمتحدثون والزعماء والسياسيون وقادة الرأي،وبعض العلماء والدعاة وليجعلوا هذه المناسبات خيرا وصدقا ونفعا، وليعتبروا من كلام الإبراهيمي رحمة الله عليه .

إحالة :

***- نص كلمة الإبراهيمي رحمة الله عليه منشورة في الجزء الأول من آثار الشيخ البشير الإبراهيمي، ص 234 ، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع . وعنوانها الكامل"كلمة في الاحتفالات وتصوير وصفي للاحتفال العظيم بختم القرآن العظيم ". وهي منشورة أيضا في مجلة الشهاب في جزئها الرابع، من المجلد الرابع عشر جويلية 1938. وفيها وصف بديع للاحتفالات المهيبة بختم تفسير الشيخ ابن باديس للقرآن الكريم بعد25 سنة كاملة،وحضرته وفود أكثر مدن الوطن، شرقا وغربا شمالا وجنوبا، وأبدع الإبراهيمي في استخلاص المعاني والدلالات مما رأى وسمع .**

الشيخ الغزالي يتحدث عن ابن باديس

وحديث الشيخ الغزالي عن ابن باديس الذي نورده هنا عبارة عن حوار أجراه الأستاذ أحمد بوشبعة على هامش الندوة الفكرية التي جرت وقائعها في جامعة الأمير عبد القادر بمناسبة يوم العلم وكان عنوانها : «العلم والدين» ونشر يوم الخميس 17 أفريل 1986 بجريدة النصر.

ما مكانة ابن باديس في النهضة العربية الإسلامية؟

○○ أحد القادة الرواد الذين حاربوا الاستعمار الثقافي بقدرة ونجاح، وأثره مقدور ومشكور في العالم العربي كله لا في الجزائر وحدها، ونحن نعتبره طليعة موفقة مباركة في خدمة الإسلام وأمته.

هل من مقارنة بين ابن باديس وإصلاحه في الجزائر والمغرب العربي، ونضال رواد النهضة في المشرق العربي؟

○○الشبه قائم ولا يمكن إنكاره وقد عاصرت نهضات إسلامية كثيرة في مصر ودمشق وفي مكة وبغداد وبقية العواصم العربية، فوجدت أن الشبه مشترك، لأن المنبع واحد ولأن الآلام متشابهة ولأن طريقه في الجهاد الذي رسمه الإسلام، وحد بين الأوائل والأواخر والمتعاصرين في طريق النهضة والهدف الذي تشتاق إليه الجماهير .

ابن باديس العالم والمجاهد والمصلح اقتلع الاستعمار من جذوره الأولى، بما قدمه من التعبئة والتوحيد والإعداد لأفراد الشعب في مواجهة المحتل الغاصب، حدثنا ولو بإيجاز عن ابن باديس كمصلح وثائر؟

○○أنا لم أستمع إلى ابن باديس لأني لم أعاصره ولكن قرأت له تفسيره، وهو تفسير دقيق يدل على إحاطة الرجل بعلوم القرآن الكريم واستيعاب لهداياته، كما قرأت شروحه للسنة النبوية، فقد كان متصلا بروح الرسالة وبالنبي -صلى الله عليه وسلم- ومقتفيا لآثاره، الرجل يجمع بين الأدب لأن عباراته في الدرجة الأولى من البيان السليم ويجمع إلى جانب أدائه العربي التحقيق العلمي والحس التاريخي والرواية الدقيقة لتاريخ المسلمين، وحساب الاقتباس منه، جهل الأمة الجزائرية تنهض من كبوتها وتؤدي حق الله عليها في محاربة الاستعمار الذي نكبت به، وقد نجح الرجل فعلا، ويمتاز الاستعمار بأنه يجمع بين الغزو العلمي والأدبي والاقتصادي العسكري وهو استعمار مضاعف الأوزار، على قدر أهل العزم تأتي العزائم، فالرجل استطاع أن يواجه هذا الاستعمار المضاعف القيود، ونجح في تعبئة أناس كثيرين يحملون علم الحرية واستطاع كذلك أن ينجح في إبقاء الشخصية الجزائرية مسلمة وعربية وهذا هو قمة التوفيق .

○○○

الإبراهيمي ...كما يراه الشيخ الغزالي*

كانت القاهرة - لأكثر من ثلث قرن مضى - ملتقى عدد من المجاهدين الكبار يجيئون إليها في ظل عقيدة جامعة، وأخوة وثيقة، ولغة مشتركة، وآمال واحدة. وكان المسلمون ينظرون إلى الزعماء القادمين نظرة حب جارف وإعزاز بالغ، كانوا يرون النظر في وجوههم عبادة، والحديث معهم والأنس بهم قربى إلى الله. أذكر من هؤلاء الحاج محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين الأكبر، وقائد جهادها الأول، زارني يومًا في وزارة الأوقاف - وكنت مسؤولاً عن المساجد - فزكّى بعض المشروعات التي أقوم بها، ورسم لي طريق إنجاحها، وشعرت كأنه يعد نفسه مسؤولاً عن مستقبل الإسلام في مصر، فهو يهتم به اهتمامي أنا به أو أكثر، ولا عجب فدار الإسلام واحدة وإن اختلفت منابت الأفراد ....

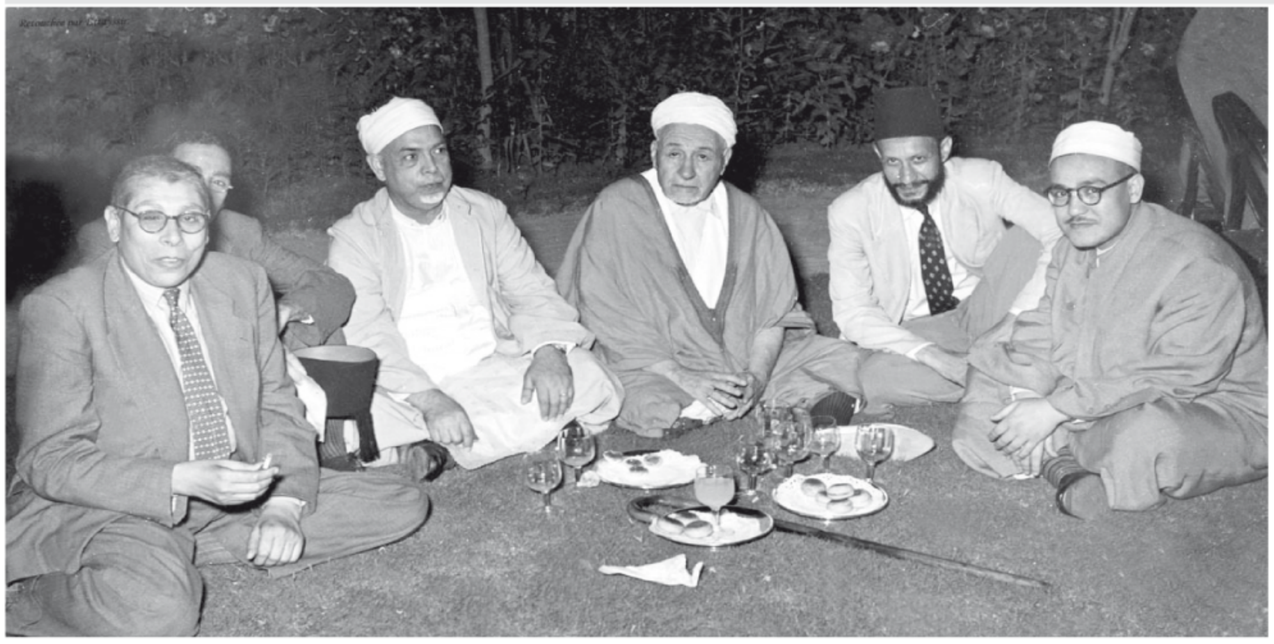

وأذكر من أولئك الزعماء اللاجئين إلى القاهرة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي. عرفته، أو تعرفت إليه، في أعقاب محاضرة بالمركز العام للإخوان المسلمين ... كان لكلماته دوي بعيد المدى، وكان تمكنه من الأدب العربي بارزًا في أسلوب الأداء وطريقة الإلقاء، والحق أن الرجل رُزق بيانًا ساحرًا، وتأنقًا في العبارة يذكرنا بأدباء العربية في أزهى عصورها.

لكن هذا ليس ما ربطنا به أو شدَّنا إليه -على قيمته المعنوية- إنما جذبنا الرجل بإيمانه العميق، وحزنه الظاهر على حاضر المسلمين، وغيظه المتفجر ضد الاستعمار، ورغبته الشديدة في إيقاظ المسلمين ليحموا أوطانهم ويستنقذوا أمجادهم، وخُيّل لي أنه يحمل في فؤاده آلام الجزائريين كلهم وهم يكافحون الاستعمار الفرنسي، ويقدمون المغارم سيلًا لا ينقطع حتى يحرروا أرضهم من الغاصبين الطغاة، وكان في خِطاباتِهِ يزأر كأنه أسد جريح، فكان ينتزع الوَجَل من أفئدة الهيابين ويُهيّج في نفوسهم الحمية لله ورسوله، فعرفت قيمة الأثر الذي يقول:
"إن مداد العلماء يوزن يوم القيامة بدم الشهداء".

إن الخطيب أو الكاتب يوم يستمد توجيهاته من قلبه ويصبها في نفوس تلامذته إنما يُكوّنُ فيالق من أولي الفداء، ويصنع قذائف حية من رجال ينسفون الباطل نسفًا، وذلك ما أحسسناه ونحن نستمع إلى الشيخ البشير الإبراهيمي في القاهرة، فعرفنا لماذا ضاق به الفرنسيون وطاردوه، ومن ثَمَّ قررنا الالتفاف به والاستمداد منه.

ومن الخطإ تصوُّرُ أن الشيخ الكبير كان خطيبًا ثائرًا وحسب ... لقد كان فقيهًا ذكي الفكرة بعيد النظرة، ووقع لي معه حوار في مسألتين طريفتين، قال لي مرة: لعلك قرأت في السيرة الشريفة أن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما كانوا ينصرفون عن مجلسه إلَّا على ذَوَاق- وزن جمال-.

قلت: نعم.

قال: فما الذواق الذي ينالونه في مجلسه؟

فتَرَيَّثْتُ قليلاً ثم أجبت: لعلهم كانوا يتناولون بعض الأطعمة أو الأشربة كما يقع في عصرنا هذا عندما تُقَدّم للأضياف والوافدين أقداحًا من الشاي أو غيره ...

قال لي: ظننتك أفضل من أن تجيب هذه الإجابة الساذجة، أذلك شيء ينوّه به الأصحاب الكرام؟

قلت في تلهف: فما هذا الذواق الوارد في السنة؟

قال: إنه تذوق أرقى، ألا تذكر الحديث الشريف: «ذاق حلاوة الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا ورسولا».

إن المجلس النبوي تظلله الحكمة، ومقام النبي فيه ترقيق القلوب، ورفع المستوى، وتخليص الروحانية من شوائب الأرض، وجعل البشر في مصاف الملإ الأعلى ... فما ينصرف أحد عن هذا المجلس الزكي إلا وقد تذوق نازلًا من السماء، ولا يعود إلى أهله إلا بذخر يعليه ويعليهم.

الحق، أن هذا المعنى كان جديدًا علي، غير أني شعرت بأنه الحق، وأنه أولى كثيرًا من تفسير الذواق بأنه طعام أو شراب ...

وسألني مرة: ما تقول في هذه الذبائح التي تملأ ساحات مِنًى، يتحلل بها الحجاج والعامرون من مناسكهم؟ فلم أدر ما أقول، كل ما استطعت أن أجيب به أنها من شعائر الحج والعمرة قربة إلى الله وطعمة للفقراء، وفي الآية {يَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ}.

قال: لَيت الحجيج يحققون هذه الغاية فيأكلون ويتصدقون ويفرح بصنيعهم البائسون الفقراء، إنهم يذبحون ويدعون ذبائحهم على الثرى لا يقربها إنس ولا وحش، فتضيع سدى، وقد نُهينا عن إضاعة المال. حبذا لو وضعت خطة للإفادة من هذا الخير المبذول وتعميم النفع به ...

وما تمناه الشيخ البشير الإبراهيمي نفذ بعد ثُلُث قرن، فقد عرفت الآن أن ما يذبح يكون بقدر حاجة الفقراء، والباقي يوجه لسد ثغرات الجوع، والجفاف في أماكن أخرى ... وهذا هو الفقه الصحيح وحسن التصرف في تنفيذ أحكام الشرع الشريف.

كان لقاؤنا بالشيخ البشير الإبراهيمي مصدر متعة أدبية وعلمية تجعل أدباء القاهرة وعلماءها يهرعون إليه ويتزاحمون عليه، ولكن الرجل كان يشرد بين الحين والحين، فنحس أنه معنا وليس معنا، كان جسمه معنا وقلبه معلقًا بالجزائر يتحسس أبناءها، ويتبع العراك الدائر بين الإسلام والصليبية في هذه القطعة الغالية من دار الإسلام، وكنت أشعر بأنه يكتب إلى رجاله أو المسؤولين عن الكفاح الجزائري يشير عليهم بالرأي ... وأستطيع الجزم بأنه ما ضعف يومًا ولا استكان ولا يئس من روح الله، ولا شك في أن الله ناصر جنده، ومعز المجاهدين المسلمين.

وهناك أمر لا يعرفه الكثيرون، لقد حاول أن يسد الفجوة بين جماعة الإخوان ورجال الثورة المصرية، فإن الفريقين يقدرونه ويصغون إلى نصحه، ولكن الشر كان قد تفاقم بين الفريقين وعزَّ على العلاج، فتوقف محزونًا.

وظل الشيخ البشير، ومعه بعض الجزائريين يرتبون الأمور بين القاهرة الموالية للمجاهدين، وبين أرض المعركة التي احتدم فيها القتال وتضاعف الشهداء، ولا أنسى من بين أصحاب الشيخ الأخ الفضيل الورتلاني الذي زاملني في الدراسة وأنا في تخصص الدعوة والإرشاد قبل مجيء الإبراهيمي ببضع سنين.

وكان الشيخ الفضيل عملاقًا في مبناه ومعناه ورجلًا له وزنه، وكان يتبع الشيخ البشير على أنه تلميذ وفي له، ويتعاونان على نصرة القضية الجزائرية بكل ما لديهما من طاقة ...

قال لي الشيخ البشير: إنكم بليتم بالاستعمار مثل ما بلينا، وشعرتم بضراوته مثل ما شعرنا، لكنكم لا تعرفون أن ما أصابنا نوع شاذ من الاستعمار يشبه السرطان من بين أنواع العلل المهلكة، إنه كان يريد محو شخصيتنا وعقيدتنا ولغتنا وتاريخنا وحاضرنا ومستقبلنا، ومن المستحيل الإبقاء عليه أو البقاء معه.

إن معنى ذلك الموت الخسيس، وأولى بنا أن نموت جميعًا في ميادين الكفاح والتضحية من أن نموت على هذا النحو الذي يراد لنا ...

والجزائري إذا غضب تحول إلى شخص آخر، وقد كنت ألمح تغيرًا عضويًا في وجهه بل في كِيانِه كله عندما يتحدث عن ضرورة الجهاد إلى آخر رمق وعن ضرورة بقاء الجزائر مسلمة تتكلم بلغة الوحي وتحل العربية محل الفرنسية. (وها قد نصر الله الجزائر، ونضر وجوه المجاهدين وعاد الدخيل من حيث جاء، واندحر أتباعه وأعوانه).

فأدبروا ووجوه الأرض تلعنهم ... كباطل من خلال الحق منهزم

ومعرفتي بالشيخ البشير الإبراهيمي تجعلني أتساءل عن حدود الوفاء للقيم والمبادئ التي عاش من أجلها ومات في سبيلها؟.

إني أتخيله حيًا، وأتصور أنه يسمع رجلاً يرطن بالفرنسية، ما أحسبه يتركه دون تقريع وتعنيف بالغين. وله الحق في غضبه فإن الاستعمار العسكري ذَنَبٌ والاستعمار الثقافي هو الرأس، والحية لا تموت بقطع ذَنَبِها، بل الأمر كما قال الشاعر:

لَا تَقْطَعَنْ ذَنَبَ الأَفْعَى وَتُرْسِلَهَا ... إنْ كُنْتَ شَهْمًا فَأَتْبِعْ رَأْسَهَا الذَّنَبَا

وعلى الجزائر أن تحرر ثقافتها من التبعية كما حررت أرضها من الاستعمار، والخطوات البطيئة في هذا المضمار لا ترضي شهداءها الأبرار، بل البدار، ليتأكد الانتصار، وتتضاعف الثمار.

***مجلة الثقافة الجزائرية، عدد87، مايو- يونيو1985م**

○○○

الجهود الإصلاحية في أحوال المسلمين في عالم اليوم هل هي كفيلة بضمان المكانة والوجود الحضاري المتميز لأمة الإسلام أم أن الأمر يحتاج إلى مجهود آخر كيف وما الوسيلة؟

○○الذي لاحظناه أن الصحوة الإسلامية استيقظ لها أعداؤها على عجل وضاعفوا العوائق أمامها، ومن هنا فإن الدين يقومون بالصحوة أن يضاعفوا إلى التبعات الأولى العوائق الجديدة المضاعفة إلى التبعات الأولى حتى يستطيعوا أن ينجحوا في هده المعركة الضارية. إن أعداءنا كأنما هم يحققون قوله تعالى لا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعواً. فيجب أن لا نتوقع هدنة منهم، ويجب أن تستعد دائما للكفاح في ميادين لا حصر لها حتى نستطيع أن نبلغ أهدافنا التي رسمناها لأنفسنا أو التي يقودنا القدر إليها .

إلى أي حد وصل الاهتمام بدراسة وبحث آثار ابن باديس في المشرق العربي؟ وكيف كنتم تنظرون إليه في الثلاثينات؟

○○ابن باديس كبقية القادة العرب والمسلمين لم يظفروا بالتقدير الذي يستحقه، لأن العرب كما قال مبتلون بالنسيان وخصوصًا نسيان القادة الكبار، وموقفنا من التاريخ الإسلامي إلى إعادة نظر لأن أبطالنا كثيرون ومع ذلك سمحنا للتراب أن يهال عليهم، فلم نحسن اقتناء آثارهم ولا تجديد سيرهم ونحن أولى الناس بأن ننتفع بتراب الآباء والأجداد. ابن باديس كما قلت كتب عنه كتاب أو كتابين بينما كتب في نابليون بونابرت نحو مائتي كتاب لماذا لأن هؤلاء يقدرون رجالهم أكثر مما نقدر نحن عظماءنا إلى الآن مالك بن نبي في الجزائر وابن باديس وأحب أن ألفت النظر إلى الشيخ البشير الإبراهيمي وهو من علماء الجزائر أو ممن كانوا يعملون مع ابن باديس، عندما قدم إلى القاهرة لم يوضع في مجمع اللغة العربية من باب التشريف أو إكرام زائر غريب له مكانة في بلده.. الرجل كان موسوعة لغوية، وكان من أقدر الناس على الخطابة بأسلوب بلغ به القمة في الأداء وفي إحياء التراث الأدبي. هل يستطيع المعاصرون أن يحيوا مثل هده الذكريات وأن يجعلوها أمام الأجيال التي ننشئها الآن وسط مقاومات كبيرة للإيمان وللأصالة وللتراث الصحيح. لا تزال أمتنا بحاجة إلى أنشطة مقوية في هدا الموضوع .

ما هي أحسن هدية تقدم لهذا الرجل العظيم في ذكراه؟

○○أحسن هدية في نظري أن الجامعة الإسلامية في قسنطينة تتسع دائرتها وتتفتح أمامها الميادين، لتخدم رسالة ابن باديس وهي رسالة الإسلام وهي الرسالة التي من أجلها أنشئت جمعية العلماء. فإن حاضر الجزائر يجب أن يكون موصولا بماضيها والغرس القائم يغذي من هدا الماضي لأن عناصر الخصوبة فيه هي التي تمنح النمو وتمنح النضج وتمنح حلاوة الثمار.

معهد ابن باديس 1947م - 1957م

الباكورة التربوية لجمعية العلماء

إعداد: أ. عيسى عمراني

يعد معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة الذي فتح أبوابه للطلبة العام 1947م، قيمة مضافة وامتدادا للدروس العلمية التي كانت تقدم بالجامع الأخضر من قبل الشيخ ابن باديس، مع تطور في الإدارة والتجهيز والأسلوب التعليمي.

فقد تفضلت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بإنشاء هذا المعلم تخليدا لذكرى الشيخ، ومواصلة جهوده في نشر التعليم العربي الحر وبعث الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر، فأسسته بمسقط رأسه وأطلقت اسمه عليه.

ويقع مقره بساحة (البطحاء) بوسط المدينة خلف المسجد الكبير الواقع بشارع العربي بن مهيدي المعروف بـــ (الطريق الجديدة).

ويعد هذا الإنجاز مفخرة ومكسبا يشهد لجمعية العلماء،لأنه النواة الأولى للدراسة الثانوية المعربة في تاريخ الجزائر المعاصر، وقد تعدت تكلفته خمسين50 مليون فرنك فرنسي قديم كلها من تبرعات الشعب.

يقول فيه الشيخ الإبراهيمي: «المعهد الباديسي هو مفخرة الأمة الجزائرية، وهو غرة أعمال جمعية العلماء وأعظمها خطرا، وأعلاها قدرا وأكثرها نفعا، فهو يؤوي سبعمائة تلميذ من أبناء الأمة، ويهيئهم لأن يصبحوا قادة لحركتها، ومسيرين لنهضتها في جميع الميادين الحيوية، ومنه تخرج البعثات العلمية والصناعية، ومن صفوفه يتخرج الوعاظ المرشدون والخطباء والكتاب والمعلمون».

وكانت دائرة الإقبال على الدراسة بهذا المعهد تتسع يوما بعد آخر، فمن 702 طالبا في السنة المدرسية 1950م1951-م، قفز العدد إلى 913 العام 1955م، وهو عدد معتبر بمقياس الزمان وظروف المجتمع آنذاك.

فكان طلابه يتوافدون من كل فج عميق ليشهدوا منافع العلم من منهله الصافي،وتزايد عددهم مما ألزم الجمعية بالإسراع والمبادرة بشراء مسكن لإيواء الطلبة القادمين من خارج المدينة ومختلف الولايات وتمت تهيئته وتأثيثه، وفتح سنة 1953م وكان يتسع لــ500 طالب،وسمي بـ"دار الطلبة"،وأصبحت ملحقا بالمعهد، تقوم بأداء مهمتها على الوجه الذي ينبغي.

وقد ضبطت شروط للالتحاق بالمعهد حددت كما يأتي:

- أن يكون التلميذ حاصلا على الشهادة الابتدائية، أو يتم دخوله عن طريق امتحان،مع استظهار ربع يس على الأقل.
- ألا يقل عمره عن ست عشرة سنة.
- أن يتحمل نفقات الإطعام والإيواء وإحضار كسوته وفراشه وغطائه.
- أن يتقدم لتسجيله والده أو وكيل عنه.
- أن يكون سليما من أي مرض معد.

بلغ عدد أساتذة المعهد عند افتتاحه خمسة عشر أستاذا متفرغا، يقومون بتدريس العلوم الدينية واللغوية والاجتماعية وآخرين مشاركين متطوعين يدرّسون المواد العلمية.

ومن أساتذته البارزين: الشيخ العربي التبسي (وكان يشرف على إدارته، ثم خلفه محمد خير الدين)، وأحمد حماني، وعبد المجيد حيرش، ونعيم النعيمي، وأحمد حسين، والعباس بن الشيخ الحسين، ومولود النجار، وعبد القادر الياجوري،وعبد اللطيف سلطاني،وعبد الرحمن شيبان، وعمر الشكيري، والسعيد الزموشي...وآخرون يتفاوتون في مستواهم العلمي وكفاءتهم التربوية والبيداغوجية.

ومن تلامذته المعروفين: الدكتور أبو القاسم سعد الله، والدكتور عبد الله ركيبي، والدكتور عثمان سعدي، والكاتبة زهور ونيسي، والأديب الجنيدي خليفة، والشاعر بلقاسم خمار، واللغوي محمد فارح، واللواء رابح بوغابة، والعقيد محمد شعباني، ومحمد الصالح يحياوي(ضابط ووزير سابق وأمين عام الأفلان)، والسعيد عبادو(وزير سابق)، ومحمد الشريف عباس(وزير سابق)، وأبو عبد الله غلام الله (وزير سابق) وغيرهم كثير.

وعن مرحلته التعليمية يقول الشيخ أحمد حماني: "إن معهد ابن باديس يعد ثانويا بالنسبة لمدارس جمعية العلماء الابتدائية، وابتدائيا بالنسبة لجامع الزيتونة بتونس وهو فرع منه".

ومن حيث منهاجه الدراسي يذكر الشيخ «عبد الرحمن شيبان» أنه مطابق للمنهاج المطبق في جامع الزيتونة بتونس و خاصة منهاج النحو، وقد سعى الشيخ شيبان بصفته (رئيسا لجمعية الطلبة الجزائريين بتونس آنذاك) إلى ربط الصلة بين المعهد وجامع الزيتونة بطلب من الشيخ الإبراهيمي للاعتراف بالشهادة التي تمنح به، فلبى مشايخ الزيتونة رغبة الجمعية ووافقوا على أن يكون فرعا له، فصار الطلبة الجزائريون يتقدمون لامتحان الشهادة الأهلية بالزيتونة دون عقبات كانت تواجههم من قبل، منها إلغاء شرط إعادة السنة الرابعة هناك قبل اجتياز الامتحان، فكانت الدراسة بالمعهد تستغرق أربع سنوات تتوج بشهادة الأهلية تؤهل المتحصل عليها لمزاولة دراسته الثانوية بالزيتونة.

ويتطابق منهاج المعهد مع منهاج مدارس جمعية العلماء من حيث الأهداف، فهو يرمي إلى تربية الجيل الجديد وغرس العقائد الصحيحة في ذهنه وأداء العبادات والتشبع بالروح الوطنية والغيرة على اللغة العربية وتاريخ الإسلام وتاريخ الجزائر، لمواجهة الزحف القادم من الغرب.

تقدم الدروس ضمن حصتين صباحية و مسائية بمعدل ثلاثة دروس في كليهما وتستغرق مدة الدرس خمسين دقيقة،تدرس خلالها مواد أساسية وأخرى ثانوية.

أما الأولى فتشمل: التفسير والحديث والفقه والفرائض والعقائد والمواعظ والتجويد والأصول والمنطق والنحو والصرف والأدب والبلاغة والمحفوظات والإنشاء والمطالعات.

وأما الأخرى فتتمثل في مبادئ الرياضيات والطبيعيات والجغرافيا والتاريخ وحفظ الصحة، وأصول الأشياء.

وقد حاولت الجمعية وإدارة المعهد إدخال إصلاحات على المواد الدراسية وطرائق التدريس بالمعهد تماشيا مع تطورات العصر، فأعطت أهمية للمواد العلمية، منها: الحساب والغاية من تدريسه، وتدريس الهندسة مثلما تدرس بالثانويات الفرنسية، وتعريب المصطلحات، وتدريس التاريخ من الكتب المصرية وغيرها...

كما اتبع أساتذته الطرائق الحديثة في التدريس لأن التعلّم لم يعُد للعبادة والتبرك فحسب، ولكنه أيضا سلاح يواجه به الطالب معترك الحياة.

ورغم اعتماد الكتب المقررة بجامع الزيتونة إلا أن أسلوب التدريس بالمعهد يختلف عنه في هذا الجامع وأكثر تطورا، حسب شهادة بعض أساتذته، فكان تدريس الأدب-مثلا- يقوم على انتقاء النصوص المناسبة للعصور الأدبية، وتدريس اللغة يتم عن طريق النصوص، تلك الطريقة التي كان معمولا بها في المدرسة العربية منذ العصر العباسي، فيعرض النص القرآني ثم تدرس في ضوئه مختلف العلوم الشرعية واللغوية، ثمّ تراجعت في عصور الانحطاط لتحل محلها الطريقة القياسية، لتعود إليها مدرستنا اليوم ضمن «المقاربة النصية» وكثير ممن يظنها من إبداع الغربيين.

وإضافة إلى مهمة التعليم كان المعهد يؤدي دورا ثقافيا من خلال ما يقدمه من دروس في الوعظ والإرشاد لعامة الناس، وإلقاء محاضرات عامة في المناسبات والأعياد الدينية، وتقديم عروض مسرحية وموسيقية ورياضية ، وإحياء ذكرى وفاة الشيخ ابن باديس، وتدريب الطلبة على الخطابة ونظم الشعر،بل كان سببا في انتعاش حركة ثقافية واسعة شملت تأليف الكتب وطبع المنشورات العربية المختلفة وهذا بفضل تزايد عدد الطلبة سنة بعد أخرى .

وقد تخطت الإرادة الجبارة كل العقبات التي كانت تعترض سبيل المشرفين على المعهد وأساتذته وطلبته إن على المستوى الداخلي كضيق حجرات الدراسة والاكتظاظ وظروف الإطعام والإقامة أو خارجيا كعرقلة السلطات الاستدمارية له، فقد أدى المعهد رسالته وخرّج المثقفين والقادة المدافعين عن مقومات الشخصية الوطنية للشعب الجزائري المهددة بالمسح والمسخ، عاملين بكلمات الشيخ التبسي الأبوية التي كانت تلتقطها آذانهم فتوقظهم كل صباح أيام الدراسة:

-انهضوا يا من تفتخر بكم الجزائر.

- انهضوا يا أمل الجزائر.

- انهضوا يا شباب الجزائر.

أغلق المعهد العام 1957 م من قبل السلطات الفرنسية بعد أن أصدر قرار بشأنه، ثمّ حول إلى ثكنة عسكرية إلى غاية 1962م تاريخ استقلال الجزائر،وقد أسهم عدد غير يسير من شيوخه وتلامذته في ثورة التحرير بفعالية، وكان دعم المعهد للثورة سببا مباشرا لغلقه.

وبعد الاستقلال ألحق المعهد بوزارة التربية ثم وزارة الشؤون الدينية والأوقاف وبدأت بنايته تتدهور شيئا فشيئا ولم يحظ بعناية أو إعادة اعتبار حتى سنة 2004 حيث نفخت فيه الروح مجدداً واستوى بعدما تمَّ ترميمه وصار معهدا للقراءات القرآنية.

المراجع:

1. الخطيب.(أحمد)، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،د.ط، 1985.

2. تركي.(رابح)، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشروالتوزيع، الجزائر، ط2، 1981.

3. الإبراهيمي.(محمد البشير)، آثار محمد البشير الإبراهيمي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،د.ط، ج3، 1987.

4. عشوي.(مصطفى)، المدرسة الجزائرية إلى أين؟، دار الأمة، الجزائر، د.ط، 1991.

5. بوثريد(عائشة)، التعليم العربي الحر في الجزائر ومؤسساته من سنة 1947م إلى سنة 1962م- قسنطينة نموذجا-، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، 2004-2003.

6. خير الدين(محمد)، مذكرات الشيخ خير الدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1،ج2.

7. مرتاض.(عبد المالك)، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1954-1925)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1983.

8. مقلاتي.(عبدالله)، إسهام شيوخ معهد عبد الحميد بن باديس وطلابه في الثورة التحريرية، دار الهدى، عين مليلة، د.ط، 2014.

9. عمراني.(عيسى)، المدرسة الباديسية ومناهجها الدراسية، دار الهدى، عين مليلة، ط1 ،2015.

شعب الجزائر مسلم

شَعْبُ الجزائرِ مُسْلِمٌ وَإلَى العُروبةِ يَنتَسِبْ
مَنْ قَالَ حَادَ عَنْ أصْلِهِ أَوْ قَالَ مَاتَ فَقَدْ كَذبْ
أَوْ رَامَ إدمَاجًا لَهُ رَامَ المُحَال من الطَّلَبْ
يَانَشْءُ أَنْتَ رَجَاؤُنَا وَبِكَ الصَّباحُ قَدِ اقْتَربْ
خُذْ لِلحَياةِ سِلاَحَها وَخُضِ الخْطُوبَ وَلاَ تَهبْ
وَاْرفعْ مَنارَ الْعَدْلِ وَالإِ حْسانِ وَاصْدُمْ مَن غَصَبْ
وَاقلَعْ جُذورَ الخَائنينَ فَمنْهُم كُلُّ الْعَطَبْ
وَأَذِقْ نفُوسَ الظَّالمِينَ السُمَّ يُمْزَج بالرَّهَبْ
وَاهْزُزْ نفوسَ الجَامِدينَ فَرُبَّمَا حَيّ الْخَشَبْ
مَنْ كَان يَبْغي وَدَّنَا فَعَلَى الْكَرَامَةِ وَالرّحبْ
أوْ كَانَ يَبْغي ذُلَّنَا فَلَهُ المَهَانَةُ والحَرَبْ
هَذَا نِظَامُ حَيَاتِنَا بالنُّورِ خُطَّ وَباللَّهَبْ
حتَّى يَعودَ لِقَومِنَا من مَجدِهم مَا قَدْ ذَهَبْ
هَذا لكُمْ عَهْدِي بِهِ حَتَّى أوَسَّدَ في التُّرَبْ
فَإذَا هَلَكْتُ فَصَيْحتي تَحيَا الجَزائرُ وَ الْعَرَبْ

بقلم الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله

اليمين الأوروبي المتطرف والحديث عن أسطورة

«أسلمة أوروبا –وأسلمة الغرب»

باريس من سعدي بزيان

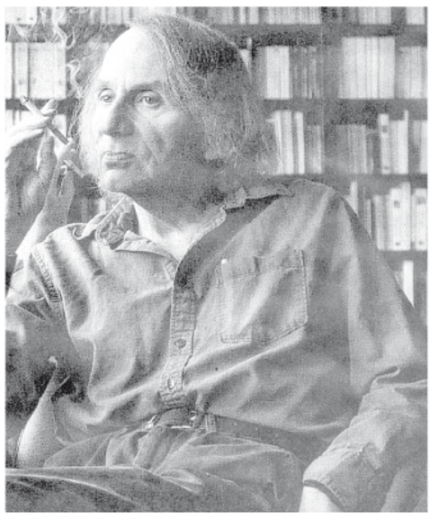

اليمين الأوروبي المتطرف استطاع توظيف موضوع كثرة الأجانب في الغرب، وأسلمة أوروبا بالنسبة للمسلمين بسبب تزايد نموهم الديمغرافي، وهذه كلها مواضيع يدغدغ بها اليمين المتطرف عواطف شعوب أوروبا لينال أصواتهم في الحملات الانتخابية، وتحقيق مطامحه ومطامعه السياسية، ومن خلال هذه المواقف استطاع «الإسلاموفوبي رقم1 غيرت ويلدوس GEERT WELDERS» الحصول على منصب في البرلمان الأوروبي ممثلا لليمين الهولاندي المتطرف في هذا البرلمان، وهو صاحب فيلم: «الفتنة» والذي وصف القرآن بكتاب «كفاحي» لهتلر زعيم النازية الألمانية، ويتوعد المسلمين بأنه في حالة وصول حزبه إلى الحكم سوف يطرد المسلمين ويعيدهم إلى أوطانهم الأصلية، وهذا كاتب صهيوني يدعى فينيك راوت يصنف من طرف الفرنسيين ضمن فلاسفة فرنسا يصف القرآن بأنه كتاب حرب ينشر أخلاق الغزو والاحتلال، وينظم إليه كاتب يدعى جان سيليفيا نائب رئيس تحرير مجلة «لوفيغارو ماغازين» يصف الإسلام بأنه شيوعية القرن العشرين، ويذهب ميشال هولبان وهو روائي والمعادي للإسلام رقم واحد كتب مؤخرا رواية بعنوان: «الخضوع» يتخيل في هذه الرواية وصول مسلم إلى قصر الإيليزيه كرئيس لجمهورية فرنسا في سنة 2022م وتغدو «السوربون» جامعة إسلامية! وانتشرت هذه الرواية بشكل غريب مما جعل عدة دور نشر في ألمانيا وبريطانيا وإيطاليا وفي دول أخرى بترجمتها وإعادة نشرها في هذه البلدان، وما أهمية هذه الرواية؟ وهل هي رواية مهمة تستحق كل هذه الضجة؟، هكذا موقف الكثير من الغربيين مسكونين بكره الإسلام والمسلمين، ولا نرى مبررا لذلك كله، وما نعرفه عن المسلمين بالنسبة للفرنسيين مثلا هو أن هؤلاء المسلمين ساهموا بتحرير فرنسا من الاحتلال النازي خلال الحرب العالمية الثانية، ووظفت فرنسا الحركى من المسلمين لتخوض بهم حروبا في المغرب وتونس والجزائر ضدّ إخوانهم، وينسى كثير من الفرنسيين دور المسلمين في إعادة ما خرّبته الحرب العالمية الثانية فبفضل سواعد أبناء المسلمين شُيّدت الطرق، ومدّت السكك الحديدية وحفرت أنفاق «الميترو» «METRO».

كاتب فرنسي يفند أطروحة «أسطورة أسلمة أوروبا» «LE MYTHE DE L'ISLAMISATION DE L'EUROPE» أصدر الكاتب الفرنسي رافائيل ليوجي RAPHAELL IOGIER كتابا قيما فند فيه أسطورة: «أسلمة أوروبا» و«أسطورة أوروبا العربية» وتساءل في كتابه هذا قائلا: «هل حقا بأن المسلمين في الغرب يسعون إلى تحويل أوروبا إلى بلد إسلامي تطبق فيه الشريعة الإسلامية، ويفرض عليها نمط العيش الإسلامي، فأنا شخصيا ككاتب جزائري مسلم يعيش في الغرب منذ أكثر من 30سنة، لم ألتق بشخص مّا مسلم حدثني عن فكرة «أسلمة أوروبا» أو أسلمة الغرب فكفاح المسلمين في أوروبا لا يتجاوز مطالب لا تتعدى احترام ديانتهم والسماح لهم بأداء سنن ديانتهم في ظل الحرية والكرامة، وأن يعترف لهم كمواطنين لهم نفس حقوق وواجبات وحقوق السكان الأصليين، ونعود إلى ما كتبه رافائيل ليوجي قائلا: إننا منذ مطلع سنة 2000 ونحن نعيش على وقع أسلمة أوروبا وأوروبيا العربية أو ما يسمونه بـ: EURABIA بالمصطلح الفرنسي، فالتركيز على القنبلة الديمغرافية للسكان تستعمل كورقة تهديد ووعيد ضد السكان الأصليين في أوروبا.

كان الجنرال دوغول أول من حذر من القنبلة الديمغرافية لمسلمي الجزائر رغم أنه كان له شعار: «من دانكيرك إلى تامنراست وطن واحد هي فرنسا» فهو لا يؤمن بهذا الكلام، وقد صرّح لصديقه آلان بيرفيت صاحب كتاب «هكذا أتكلم دوغول» أنني لا أؤمن باندماج المسلمين في المجتمع الفرنسي، فالمسلمون يتمتعون بنمو ديمغرافي كبير فإذا بذلك يتحول مسقط رأس زوج كنائس deux églises إلى deux mosquées وبالتالي يصبح ممكنا أن يكون رئيس فرنسي عربي مسلم والأوروبيون اليوم يخشون من قنبلة ديمغرافية مسلمة، تحول بريطانيا إلى باكستان وألمانيا إلى تركيا، وفرنسا إلى دولة إسلامية مغاربية ذلك أن الكاتب الفرنسي جان اسباي تنبأ بأنه سيكون في فرنسا عام 2025 (12 مليون مغاربي) وهذا ما يهدد الهوية الوطنية الفرنسية.

المستشرق البريطاني الصهيوني يحذر الغرب من خطر الإسلام

إذا كان الكثير من المستشرقين لهم عداء تجاه الإسلام والمسلمين فإن المستشرق البريطاني المولود اليهودي الأصل الصهيوني الاتجاه وهو آخر عنقود في الاستشراق الكلاسيكي بعد رحيل شيوخ الاستشراق في الغرب ويدعى هذا المستشرق السيئ الذكر بيرنار لويس، فقد استقر هو في الولايات المتحدة، ومنظرا لليمين المتطرف في أمريكا.

والشخصية النافذة في سياسة الولايات المتحدة، وركن من أركان الصهيونية في بلاد العم سام، توجهه قريب من حزب الليكود الإسرائيلي.

وقد حذر الغرب من خطر الإسلام، ويقول بهذا الصدد أن أوروبا بصدد فقدانها لثقتها في نفسها وليس للأوروبيين اليوم أدنى احترام لثقافتهم وهم بسلوكهم هذا مستسلمون في وجه الإسلام، فيما يتعلق بقيمهم الخاصة وأن المسلمين من جانبهم هم الآن على أبواب الاستيلاء على أوروبا، وينقل إلينا رافائيل ليوجي في مصدره الوارد الذكي بأن سبر الرأي العام قد جرى في سنة 2011 جاء فيه: «أن 76% من الذين شملهم الاستفتاء مقتنعون جدا بأن الإسلام يتوسع بقوة في فرنسا في حين قال 42% بأن الإسلام يشكل خطرا على البلاد والعباد، وأرقام أخرى عن النمو الديمغرافي وسط الغربيين يخيفهم وأن انتشار المساجد والجمعيات الإسلامية يقلقهم وكذلك تزايد عدد المعتنقين للإسلام من الفرنسيين يزعجهم كما أن المهاجرين الأجانب إلى أوروبا منذ 1990 جلهم أي حوالي 90% مسلمون وسوف يكون عدد المساجد في الجنوب الفرنسي أكثر من عدد الكنائس وأن 30% من الشباب هم أبناء المسلمين.

إن فرنسا بناء على ذلك سوف تغدو في سنة 2027 جمهورية إسلامية وفي بريطانيا تزايد عدد المسلمين 30 مرة خلال فترة وجيزة حيث بلغ عدد المسلمين في بريطانيا اليوم 2.5مليون نسمة وفي بلجيكا 25% من سكانها مسلمون وحسب دراسة استشراقية للمستقبل جاء فيها: أنه سوف يكون هناك في 2025 ثلثي الأطفال المولودين في أوروبا هم من أبناء الملة المحمدية وأن ألمانيا الاتحادية سوف تصبح في سنة 2050 بلدا إسلاميا» وحسب هذه الدراسة الاستشراقية فإننا مقبلون على ميلاد: أوروبا الإسلامية بدلا من أوروبا المسيحية، ونحن نتساءل بعد كل هذا كيف يمكن للمسلمين وهم يشكلون 4% من مجموع السكان الأوروبيين اليوم سوف يصبحون خلال عشرات السنين أغلبية؟.

إن هذا الكلام لا يعدو أن يكون سوى مجرد تخويف، وترهيب للأوربيين إزاء الإسلام والمسلمين لا أقل ولا أكثر!

وإلا كيف يمكن لنا أن نتصور مقولة كاتب أوروبي يقول إننا خلال سنة 2020م سيكون عدد المسلمين في أوروبا يمثلون 40 من مجموع سكان أوروبا وسوف يبلغ عدد المعتنقين للديانة الإسلامية في بريطانيا بمعدل 10 آلاف سنويا.

بناء وتزايد عدد المساجد أمرا مقلقا لدى الغربيين

إن بناء المساجد في أوروبا أمر مثير للجدل في أوروبا وخاصة في فرنسا وألمانيا، وتقول دراسة في الموضوع أنه خلال 30سنة سوف يزيد عدد المساجد في أوروبا بنسبة 1500% ويبدي الفرنسيون قلقا من جراء هجرة الفرنسيين للكنائس فبعض هذه الكنائس أوصدت أبوابها منذ سنوات والبعض منها تبرعت بها الكنيسة إلى المسلمين لتحويلها إلى مساجد وذلك بسبب إقبال عدد المسلمين على دينهم وخاصة وسط الشباب وبالأخص شبان الضواحي وترى ميشال تريبا وهي عالمة ديمغرافية معروفة بأن الإسلام يتمتع بحيوية وديمغرافية أفضل بكثير من المسيحية! بدون سيف ولا بندقية ولا معركة احتلال فـ50مليون مسلم في أوروبا وحدهم يحولون القارة الأوروبية إلى قارة إسلامية!

هكذا ورد على لسان أحد رؤساء الدول العربية، وأن اعتناق الفرنسيين للإسلام يشكل عنصر إزعاج لدى بعض الأوساط الفرنسية، حيث تذكر بعض المصادر أن هناك معدل 10حالات اعتناق للديانة الإسلامية في فرنسا كل يوم وهذا يعني 3600 حالة اعتناق كل سنة، وهناك دراسة ظهرت مؤخرا في جريدة «لوباريزيان» le Parisien الواسعة الانتشار تتحدث عن 4000 حالة اعتناق للإسلام سنويا هذا دون تبشير ولا تقديم إغراءات مادية مثلما تفعل الكنيسة في إفريقيا مستغلة فقر السكان لتصدهم عن الإسلام.

لزوم ما يلزم

أ. منصف بوزفور

الفايسبوك وتبادل الآراء

يظهر أن حاجات الناس الاجتماعية هي التي تدفع الى التغيير، فمثلا يسعى الشباب الى استخدام هذه الوسيلة للتواصل والتعارف وتبادل الخدمات والمصالح. لكن يستخدم السياسيون أيضا الفيسبوك بغض النظر عما أراده السياسي هل الاصلاح أم الافساد. ويسعى رجال الدين ايضا الى استخدام الفيسبوك لمعالجة آفات المجتمع وتبيان الصواب من الخطأ، والحق من الباطل.

وعن طريق الفيسبوك يمكن تبادل الآراء واجراء الحوارات وبناء المواعيد وجمع الجموع. ولم تكن هذه الشبكات الاجتماعية والاعلامية والثقافية قد عرفتها البلاد العربية بنفس المواصفات. فالجزائر مثلا قضت سنين من تسعينيات القرن العشرين وهي في خلاف سياسي وحرب شعواء ما كانت لتنتهي الا باستصدار سياسة المصالحة الوطنية. ولم تعرف هذه الشبكات وماعسى تقدمه هذه الشبكات من خدمات في نفس الآن الذي عرفته مصر أو تونس أو المغرب.

وبالنسبة للمتأمل في الواقع العربي يرى نسبية ثقافية تختلف باختلاف الأفراد وأيديولوجياتهم، فما يراه البعض خيرا يراه البعض الآخر شرا، وحسب نظرية الحتمية القيمية فان افعال الانسان وتصرفاته تنبع من قيمه المرجعية، فهو يتصرّف وفقها، ومهما كانت الظاهرة فانها لن تتجاوز حدود القيم.

وقد انتشر الفيسبوك في الوطن العربي لأسباب عديدة، ومنها لوجود بنية تحتية للاتصالات السلكية واللاسلكية، ووجود الأدوات والوسائل اللازمة مثل أجهزة الكومبيوتر والهاتف النقال والأنترنيت، الى جانب استفادة الدول العربية من التكنولوجيات في عالم الاتصال.

ومثلما قدم هذه الخدمات ووسائلها وأجهزتها اقتصاد السوق نفسه، ساعد هذا الاقتصاد أيضا على سرعة انتشار تجارته. وكان هناك لا ريب تحول في ثقافة الأفراد ، وتوجّه نحو المشاركة وابداء الرأي، والوعي بثقافة المسؤولية الجماعية في المناقشة والاصلاح والتغيير.

فاذا كانت هذه الثقافة تحرم من ان يكون الشعب مشاركا، فان كل مسؤول سيعمل على بيان مفاسد الفيسبوك. فهو عنده وسيلة من وسائل الاختلاف والدعاية والمخابرات الدولية والحروب والخلافات.

لكن الفيسبوك يجعل الفرد قريبا من الواقع والأحداث، فهو قادر على استبيان مايريد الفرد في الوقت الذي يريد.

لكن من جهة سياقات الانتشار السياسية نجد الضغوط الخارجية التي تواجهها الدول العربية من الدول المتقدمة والمنظمات الدولية، باعتبار أن الاستفادة من التكنولوجيات حق من حقوق الانسان وحريته وديمقراطيته.

بقلم:
أمال السائحي.ح

حتى يسترجع الأستاذ مكانته في القلوب، وهيبته في النفوس...

لم تختلف نظرة المجتمع الإنساني عبر العصور إلى المعلم، فهو بالنسبة له معلم ومربي في آن واحد، يقع على عاتقه تعليم الفرد وتوجيهه، وله دور فاعل في تنشئة المتمدرسين التنشئة السليمة من خلال الرعاية الواعية والشاملة للنمو المتكامل للفرد المتعلم «التي يتعهده فيها روحياً وعقلياً وجسمياً ووجدانياً وممارسة» هذا إضافة إلى دور المعلم في مجال التفاعل مع البيئة وخدمة المجتمع والمساهمة في تقدمه ورقيّه. فالمعلم من منظور هذه الأدوار كلها، والمهام التي يؤديها ويمثلها، لابد أن يكون بمثابة محور للعمل في المدرسة وعمودها الفقري، وقيمته ترتكز على وعيه وإلمامه بمسؤولياته الجسام، تلك المسؤوليات المتجددة والمتطورة والشاملة، المتناسبة مع روح العصر، في تحقيق الأهداف التربوية بجوانبها المختلفة، والمشاركة الفعّالة والإيجابية، من خلال عمله كعضو في المؤسسة التعليمية، في إعداد المواطن الصالح الذي يعرف ما له وما عليه، ويكون ذلك برعاية النمو الشامل للتلاميذ المتعلمين جسمياً وعقلياً وانفعالياً. وبغير هذا فلا يستطيع أن يفلح أو ينجح في مجاله، لأن مهنة التدريس هي أهم وأبجل وأرقى المهن على الاطلاق...

ومن بين الأدوار الاجتماعية والتربوية التي يمثلها المعلم، كما ذكرنا آنفا دوره كناقل معرفة لطلابه، ودوره في رعاية النمو الشامل لهذا الطالب أو ذاك، دوره كذلك يتمثل في خبرته ومهارته وإبداعاته المهنية في التدريس والتعليم، مسؤوليته كذلك في الانضباط وحفظ النظام، دوره كمرشد نفسي، فمهنة المعلم لا تقتصر على تعليم الاسم أو الحرف، ولكن تتمثل في ذلك الدور الإرشادي والتوجيهي للطالب، فمن خصوصيات المعلم أن يكون ملاحظا دقيقا للسلوك الإنساني، كما يجب عليه أن يستجيب بشكل إيجابي، عندما تعيق انفعالات الطالب تعلمه، ويجب عليه أيضاً معرفة الوقت المناسب لتحويل الطالب للأخصائي النفسي طلبا للمساعدة، وفي الحقيقة هذا ما نريد أن ندندن حوله اليوم، في موضوعنا الذي بين أيدينا...

جرت دردشة بيني وبين أساتذة وطلبة عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وكان الموضوع تحت عنوان»العصى لمن عصى»، فحاولت جاهدة أن أقنع هؤلاء الأساتذة بأن العقاب بالضرب هو آخر حل يمكن ان نستفيد منه، وأنه توجد حلول هي أولى وأجدى نفعا من الضرب، علينا أن نستعين بها قبل اللجوء إلى هذه الوسيلة البائسة، فآخر العلاج الكَيُّ كما يقال، وأضفت قائلة بأن التسرب المدرسي للتلميذ، وعدم حب المعلم، والتقاعس عن الواجبات، وشحنة غضب الطلبة التي يوجهونها إلى الأستاذ، هو نتاج لعدم احتواء التلميذ، وعدم النظر إليه بنظرة شمولية كاملة...

فإذا كان المعلم يشكو حاله ولا ينظر إلا لنفسه، ولا يخدم إلا نفسه، حتى في إضراباته تقتصر بنودها على مطالبه، ولا يلتفت فيها إلا إلى صالحه، فكيف يكون النتاج المنتظر؟؟ فكانت إجابة معظمهم أنني متحاملة جدا على الأستاذ وهو يؤدي دوره كمربي وكمصلح، وطبعا يرى الأستاذ بأن الحق الذي نعطيه للتلميذ هو الذي جعل من الأستاذ اليوم يضرب، ويُنكل به أيما تنكيل... فقلت لابد أن نعرف أن الأسباب التي جعلت طالب اليوم على هذه الشاكلة، تعود إلى الأسرة التي لم تع فقه التربية والتعامل مع جيل المستقبل، وتركت الأمور تسير هكذا وفق طبيعتها، ولم تُولِ أدنى اهتمام لتربية أبنائها منذ الصغر تاركة ذلك للروضة والحضانة، طبعا لا ننتظر من دور الحضانة التي أصبح الطفل أول ما يفتح عينيه يجد نفسه مع أم غريبة عنه، تطعمه وتسقيه وهذه هي التربية، بعدها يأتي دور المدرسة التي أصبح الأستاذ فيها في غير مستوى الأستاذية وللأسف الشديد بات همه الوحيد منحصرا في تأمين مستقبله المادي، على حساب الكثير من الجماجم، والدروس الخصوصية هي أكبر دليل على ذلك...لقد كان نقاشا حاميا، ولكن مع ذلك كان فيهم من أنصفوا هذا الرأي، وأقروا أن المسؤولية تقع على الكل من الأسرة التي لم ترب أولا، إلى المدرسة التي لم تؤصل لمكارم الأخلاق كما يفترض....وانتهى النقاش إلى ضرورة أن يعي المعلم جيدا أن مهنته هي مهنة جديرة بالتقدير ، وقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: «إنما بعثت معلما » فالمعلم مربي أجيال وناقل ثقافة مجتمع من جيل الراشدين إلى جيل الناشئين، كما أن وظيفته وظيفة سامية ومقدسة، نوه بها الرسل والأنبياء ورجال الدين والفلاسفة، على مر العصور والأجيال، وهو مدعو إلى أن يسترجع وعيه بطبيعة مهمته النبيلة في هذه الحياة، وأن يعيد إلى مهنته ألقَها وإشعاعها، فذلك هو السبيل الوحيد والأوحد لاسترجاع مكانته في القلوب، وهيبته في النفوس...

همساتي للفتاة المسلمة

هكذا تكون الفتاة المسلمة...

ما أصعب واقع الحياة من حولك اليوم أيتها الفتاة...تيار فساد وانحراف جارف يدعوك كل لحظة إلى عالم الظلام حيث الضلال والتيه والشقاء أو السلبية والسذاجة واتباع خطوات الشيطان... وإن زينه ولونه بأزهى الألوان ضعاف النفوس وعبدة الهوى...

ولكن رغم كل عراقيل الاستقامة تستطيع الفتاة أن تكون مسلمة مؤمنة عزيزة بإذن الله تبارك وتعالى وتوفيقه، ولا يمكن لها أن تكون سعيدة في حياتها متوازنة وناجحة إلا أن تعمل لتصل لما يأتي:

- أن تجدد بداخلها الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره، وتعمل بمقتضى هذا الإيمان إذ قال الله عز وجل {لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ...}(البقرة:177).
- أن تطلب الاستقامة والهداية وتسعى إليها وتوفر لها أسبابها مستعينة بالله تعالى متوكلة عليه مستشعرة ضرورتها ...
- أن تهتم بالصلاة وتجاهد نفسها من أجل ذلك، فأمر الصلاة فاصل ومصيري في ديننا .. إذ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن أول ما يحاسب به العبد صلاته «.
- أن تكون ذات همة عالية ولها هدف سام في الحياة تبتغي قوة المؤمن الذي يحبه الله وتنشده تعاليم الإسلام وقيمه فتطلب القمة في كل أحوالها موجهة نيتها إلى رضا الله تعالى ومحبته... قال النبي صلى الله عليه وسلم: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير»رواه مسلم.
- أن تبر والديها وتحسن إليهما، وتجتنب عقوقهما مهما كانت الأسباب والظروف فالبر إحسان إليهما واعتراف بالفضل وطاعة لله عز وجل، والعقوق سوء خلق وقلة وفاء وخيبة وخسران في الدنيا والآخرة ...
- أن تتخذ من كتاب الله عز وجل أنيسا أولا في الحياة، فتتعبد إلى الله بقراءة حروفه وكلماته وتنهل من آياته معاني الإيمان والهداية والثبات وتقديم الخالد على الفاني وطلب منازل الصالحين والمتقين في جنة الرحمن...قال النبي صلى الله عليه وسلم: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه « رواه البخاري.
- أن تستشعر قيمة الوقت وتدرك أهميته، وتستغل فراغها في النافع من الأعمال التي تعود عليها -خاصة- بالفائدة فما نجح العظماء ولا تربعوا على كراسي العز إلا بإدراكهم لقيمة الزمن وتسخير أعمارهم في سبيل طموحاتهم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ» رواه البخاري.
- أن تهتم بتربية نفسها على حسن الأخلاق، لتصل أن تكون حيية صبورة أمينة صادقة كريمة شجاعة في الخير والحق حسنة القول مستقيمة الطباع...

ومن خلال هذه الخلاصة ترسم الفتاة المسلمة أجمل صورة لها وتستحق أن تتخذها الفتيات قدوة يقتفين خطاها نحو الإيمان والاستقامة ، والنجاح والسعادة، والإيجابية والارتقاء.. فهكذا كوني أختنا الفتاة تدعمك الدعوات الصالحة ويسددك توفيق الله تعالى...

بقلم: أ. سعاد بعوش.

كلمة لا بد منها: الأستاذة سعاد بعوش التي رافقتنا في صفحة «عالم الأسرة»، عبر نافذة «همساتي للفتاة المسلمة» تتوقف اليوم وكلها نشاط وهمة للعودة من جديد لهذه الصفحة الثرية بأقلامكم الرائعة، في انتظار عودتها الميمونة ما عسانا ان نقول سوى شكرا لك على ما قدمت للفتاة الجزائرية والعربية ككل ونحن طبعا في انتظارك متى عدتي....

لمسة تربوية..

ما هو السن المناسب لاقتناء الطفل للهاتف المحمول؟

ملايين الأطفال حول العالم يستخدمون الهواتف المحمولة، وفي دولة مثل بريطانيا يملك نحو 70% من الأطفال هواتف محمولة، ولا يفصلهم عن الشبكة العنكبوتية سوى لمسات سريعة على شاشة الهاتف.

لم يعد الهاتف وسيلة الأهل للاطمئنان على طفلهم ومعرفة موقعه، بل أصبح بؤرة السيطرة التي وقع طفلهم أسيرا لها دون أدنى مقاومة.

وكانت المبادرة الألمانية «راقب ما يفعله أطفالك بالميديا» قد حذرت من حيازة الطفل للهاتف الذكي قبل بلوغ سن الثانية عشرة، وذلك كي يكون ناضجا بشكل كاف يسمح له باستخدام مثل هذه الأجهزة، وحتى بعد تلك السن أوصت بتقنين استخدام الهاتف للأطفال بحيث لا تزيد عن ساعة يوميًا.

في المقابل حذرت المبادرة من خطورة المنع الصارم للأطفال من استخدام الهواتف؛ مشيرة إلى أن الاستخدام الظاهر أمام أعين المربين أفضل من اضطرار الأطفال إلى الاستخدام بعيدا عن الأهل ليكون الآباء على دراية بما يفعله الأطفال بهذه الهواتف وكذلك بالأشخاص الذين يتواصل معهم من خلالها.

وكي يتم استخدام هذه الهواتف بشكل سليم، أوصت المبادرة الأهل بضرورة الاتفاق مع طفلهم على قواعد محددة لاستخدام هذه الهواتف وتفعيل إعدادات الأمان بها وكذلك تثبيت البرامج المخصصة لحماية الأطفال والشباب عليها.

وحددت المبادرة أوقاتًا معينة يتم الاتفاق عليها بين الأبوين والأطفال لا يجوز خلالها للطفل استخدام هذه الهواتف حرصا على بقاء الدفء الاجتماعي بين أفراد الأسرة.

وأوضحت المبادرة التي أوردها موقع الجزيرة نت أن هذه الأوقات يجب أن يأتي على رأسها مثلا فترات تناول الطعام مع الأسرة، وكذلك فترات تأدية الواجبات المدرسية، مؤكدة أنه ينبغي ألا يكون التواصل عبر الهاتف بديلا للأنشطة العائلية المشتركة أو مقابلة الأصدقاء.

أ.نجاح شوشة

البيوت السعيدة

أثر العنف اللفظي في الحياة الزوجية

من الطبيعي أن تتوتر العلاقات العائلية ويسودها بعض الاختلاف وسوء التفاهم وخاصة بين الزوجين، ولكن الغير طبيعي أن تعلو الأصوات بأنواع من اللفظ السوقي الجارح قد يتناول فيه أحد الطرفين عيوب ونقائص الآخر الخلقية أو الخلقية كمنبر يعلوه ليعلو صوته وتقوى حجته فيخرسه بالفاحش من القول، وكأنه يعمل بقاعدة الشاعر الجاهل الذي يقول:

ألا ليجهلن أحد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلين

وأقف عند كلمة (شاعر جاهلي) أي أن هذا الخلق وهو الفجور على الخصم من أخلاق الجاهلية ورسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم قد نهى عن هذا الخلق وعده من خصال النفاق حيث قال: «أربع من كن فيه كان منافقا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا خاصم انفجر وإذا عاهد غدر».

فإن كان المسلم مطالب بطهارة القلب والمكان فهو أيضا مطالب بطهارة اللسان وعفته فيصونه عن كل ما يدنسه من أقوال، أما حالة الغضب التي تتملك الانسان ليتلفظ بما لا يعنيه فهي ليست مبررا للسوء من القول، يقول تعالى: {بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ }(القيامة :14/15).

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

فالقوي من كانت قوته على نفسه فأحكم سيطرته عليها وألجمها لجامها ، وأما ترك العنان للنفس لتصول وتجول ويكون لسان المرء ترجمان يعكس ضعفها وخورها ، فهذا هو الضعف والاستسلام لنزغ الشيطان فينفث سمومه ويوقد نار العداوة والبغضاء .

فمن المؤسف أن ينزل الوالدان وهما القدوة الحسنة والمدرسة الأولى للأولاد إلى هذا المستوى المتدني من الخلق السيء لحل النزاع العالق بينهما ، فينشأ الأولاد وقد تشربوا هذا السلوك الخبيث الذي لا يمت إلى حقيقة المسلم بصلة يقول تعالى: {وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ}(إبراهيم: 26).

فالمضاهي أصحاب الجنة الذين مدحهم الله سبحانه في قوله : {وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ} (الحج: 24). ولن تصبح بيوتنا جنة إلا إذا سكنت الجنة في قلوبنا فترجمتها ألسنتنا .

أ. أم محمد عياطي

تحـــت الرعـــاية الساميـــة للســـيد والي ولايـــة غليـــزان

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بوادي رهيو تحفر في تاريخ المنطقة

من أجل بث الروح الوطنية في نفوس الناشئة وتذكير الخلف بتضحيات السلف عقدت شعبة بلدية واد رهيو بولاية غليزان ملتقاه الوطني الثاني الذي اختارت له هذه السنة عنواناً يرمي إلى بالحفر في التاريخ الجزائري على المستوى المحلي بعدما أخذ التاريخ الشمولي نصيبا من حظه خلال 50 سنة من الاستقلال إذ كان عنوانه: (تاريخ منطقة وادي رهيو خلال الفترة الاستعمارية 1962-1830).

هذا الملتقي الذي انعقد يوم 02 ماي 2015 بقاعة الحفلات بوادي رهيو بغليزان كان بالتنسيق مع قسم العلوم الإنسانية بجامعة حسيبة بن بوعلي الشلف.

بدأت أشغال الملتقي في حدود التاسعة والنصف بتلاوة عطرة للطالب سعيد ربوط. ثم عزف النشيد الوطني، ليعتلي بعد ذلك رئيس الملتقى الدكتور مصطفي مغزاوي (عضو شعبة ولاية الشلف) حيث أكد على أن الاهتمام بالتاريخ المحلي صار أكثر من ضرورة لتعزيز الروح الوطنية موجها الشكر للسيد والي ولاية غليزان على رعايته للملتقى مادياً ومعنوياً. أما السيد رئيس اللجنة التنظيمية للملتقى الأستاذ سفيان شبيلة فقد أعطى صورة شاملة عن ظروف تنظيم هذه الملتقى الذي تجندت له شعب الجمعية على مستوى ولاية غليزان. بدوره الدكتور سلطانة عابد رئيس اللجنة العلمية للملتقى تعهد في كلمته بطبع أعمال الملتقى في كتاب كما حصل مع الملتقى الأول (تاريخ منطقة وادي رهيو قبل 1830) الذي طبعت أعماله في كتاب تم عرضه للبيع خلال الملتقى الثاني. أما رئيس شعبه وادي رهيو ذكر بأن تاريخ وادي رهيو كان أخبارا شفوية أما اليوم بفضل هذا الملتقى يتم التأسيس لقاعدة تكوين للباحثين ومن باب الاستمرارية في عمل الأولين عدد رئيس الشعبة بعض منجزاتها مثل ملكيتها لست مدارس قرآنية. وروضتين أما الشيخ بن عودة حيرش عضو المكتب الوطني للجمعية الذي نقل للحضور تحيات الشيخ الرئيس الدكتور عبد الرزاق قسوم فقد وقف عند بعض العظات التي من أجلها جاء الملتقى منها إحياء معاني جديدة كادت أن تداس مذكراً باهتمام الجمعية بالتاريخ ضارباً مثلاً بالشيخ مبارك الميلي الذي أحيا الجزائر بكتابه (تاريخ الجزائر بين القديم والحديث). ولم يغفل الشيخ بن عودة حيرش ما تهدف إليه الهيئة العلمية للتخطيط والاستشراف التابعة للجمعية حيث أشار إلى مئوية الجمعية سنة 2031 التي تنتظر منا كما قال الإعداد الجيّد من الآن كما لم ينس أن يهز القاعة بالحديث عن قضية المسلمين الأولى "فلسطين" لما تحدث في كلمته عن أهم أحداث شهر ماي ولم ينزل من المنصة دون أن يشير إلى فعاليات الملتقى الدولي حول الشيخين "ابن باديس، والإبراهيمي رحمهما الله" الذي تنظمه الجمعية هذه السنة بعاصمة الجزائر. عقب كلمة الشيخ حيرش التي تفاعلت معها القاعة كثيراً جاء الدور على السيد رئيس ديوان والي ولاية غليزان ليلقى كلمته نيابة عن السيد الوالي الذي تعذر حضوره مثمنا جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فيما تقوم به من جهد وطني ليعلن عن الافتتاح الرسمي للملتقى الذي دام يوما واحدا. ولقد استمتع الحضور قبل الشروع في الجلسات العلمية بشريط وثائقي أعدته الشعبة البلدية بوادي رهيو لعنوان: (بن مهيدي مر من هنا) قدم من خلاله المجاهد بركان قدور شهادته حول زيارة الشهيد العربي بن مهيدي لوادي رهيو يوم 10 أكتوبر 1954 في إطار الإعداد لثورة نوفمبر المجيدة وبعد انتهاء الشريط الوثائقي انطلقت الجلسات العلمية للملتقى التي شارك فيها العديد من الأساتذة من مختلف الجامعات الجزائرية شرقا وغربا وجنوبا بل حتى من باريس ومن المعهد الوطني لتكوين الأئمة بولاية غليزان. استفاد منها كثيرا طلبة الجامعة الذين يحضرون لشهادة الدكتورة في التاريخ. وبهذا تكون جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد ساهمت في كتابة التاريخ الوطني بعد أن ساهمت في صناعته.

تغطية: قدور قرناش

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
شعبة وادي رهيو
الإسلام ديننا - العربية لغتنا - الجزائر وطننا

عروض كتب

العلاقات التركية الروسية:

من إرث الماضي إلى آفاق المستقبل

تقديم: إسلام ساحلي

عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات صدر كتاب تحت عنوان (العلاقات التركية الروسية: من إرث الماضي إلى آفاق المستقبل) للكاتب معمر فيصل خولي يضم 120 صفحة من القطع الصغير ويحتوي الكتاب على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

يقول المؤلف في مقدمة الكتاب: «كانت العلاقة التركية - الروسية تاريخيًا عدائية غير سلمية، وتركت الحروبُ التي كانت قائمة بين روسيا القيصرية والدولة العثمانية ذكريات مريرة لدى الطرفين. فعلى امتداد خمسة قرون، دارت بينهما حروب ومعارك. فقد تزامن صعود الإمبراطوريتين الروسية والعثمانية. واستدعى الجوار الجغرافي والاختلاف الديني تصارعهما عسكريًا. ولأنّ موسكو التي كانت تعدّ نفسها (روما ثالثة). لم تنس أنّ العثمانيين هم من أسقطوا (روما الثانية) (القسطنطينية) عام 1453م. ومنذ دخول الدولة العثمانية مرحلة الضعف والتدهور في بداية القرن الثامن عشر. ساهمت روسيا القيصرية بدور مهم في قضم أراضيها وممتلكاتها في القوقاز وآسيا الوسطى. ولولا نظام توازن القوى البري بين الدول الأوروبية في القرن 19. لأجهزت روسيا على الدولة العثمانية».

وبعد أن عرَّج الباحث بطريقة خاطفة على تلك العلاقة قبل أن يتسلَّم حزب العدالة السلطة. صبَّ جهده على وقائع العقد الأخير. منطلقًا من فرضية رئيسة وهي، أنّ هناك حرصًا من البلدين على تطوير العلاقة بينهما بشكل إيجابي، وتطويق الخلافات الطارئة بينهما.. وتنحصر الدراسة في مدى زمني يبدأ من تاريخ تولّي حزب العدالة والتنمية السلطة عام 2002 حتى عام 2013. ويرى في «اقتراب المصلحة الوطنية» هو الملائم لبحث علاقة الدولتين وتحليلها.

ويقسّم المؤلف الدراسة إلى ثلاثة فصول أو ثلاثة مقاطع زمنية يتعلق الأول بـ «مرحلة الشراكة» في علاقتهما بين 2002 و2004. والثاني بـ «مرحلة الشراكة الملموسة» بين 2004 و2008. والثالث بين 2008 و2012. والذي يتزامن مع فترة التباعد بشأن الثورة السورية.

في المرحلة الأولى التي تتزامن مع صعود حزب العدالة والتنمية ذي المرجعية الإسلامية إلى السلطة. عملت السلطة التي اهتدت بالعديد من المبادئ صاغها الوزير أوغلو وفي مقدمتها. الانطلاق من حقيقة مفادها أنّ العلاقات بين الدول ليست بديلة من بعضها بل هي متكاملة. لذا أقامت تركيا علاقاتها بين الدول الإقليمية والدولية على أساس أنّ تلك العلاقة تكمّل بعضها ولا تقوم على حساب بعض. أو بديلًا منها وعلى الرغم من أنّ روسيا لم تُخفِ مخاوفها من أن تتجه حكومة العدالة (الإسلامية) إلى دعم المقاتلين الشيشان. فإنّ الدولتين استطاعتا تجاوز هذه المخاوف. وانعكس ذلك على تحسّن العلاقات الاقتصادية بما فيها زيادة استيراد تركيا الغاز الطبيعي الروسي.

أما المرحلة الثانية فقد شهدت زيارات على مستوى القادة. صاحبها توقيع اتفاقيات. فشمل تعاونهما مجالات الدفاع والأمن والطاقة والاقتصاد ومكافحة الإرهاب. وحاول كل منهما دفع الطرف الآخر إلى وقف الأنشطة العدائية ضده: سواء تمثلت في قادة الشيشان في تركيا. أو نشاط حزب العمال الكردستاني في روسيا. وتوافقت الدولتان في ذلك الحين على معارضة سياسة الولايات المتحدة لعزل إيران وسورية. وأيضًا معارضة سياستها لتغيير أنظمة الحكم في المنطقة. كما توافقتا على الحفاظ على استقرار منطقة القوقاز. وأجرتا مناورات عسكرية مشتركة عام 2006 .

أمّا في المرحلة الثالثة التي يُطلق عليها مؤلف الكتاب مرحلة «تنوع المصالح». فتشكل الحرب الروسية على جورجيا افتتاحية المرحلة الثالثة. فكانت بمنزلة اختبار لصدق استقلال السياسة التركية تجاه الحوادث. مثّلت هذه الحرب محور اختبار هُدِّدت فيه علاقة روسيا مع الغرب. وخرجت منها تركيا محافظة على طابع سياستها المستقل. فلم تندفع مع الغرب باتجاه الوقوف مع جورجيا. من هنا أثنى بوتين على السياسة المستقلة للدولة التركية. واستطاع أردوغان التوفيق بين مصالحه مع روسيا في الغاز وغيره من المسائل. ومصالحه مع جورجيا (أنبوب النفط. وخط سكك الحديد). فاختارت أن «تبقى (تركيا) على مسافة واحدة من طرفي الحرب.

غير أنّ الباحث لم يسعه إلّا أن يشير إلى قضايا خلافية جدّية تحيط هذه العلاقة. تؤرّق تلك الإنجازات. هذه الخلافات تمحورت حول مفهوم الدولتين للمسائل الأمنية. وإنشاء تركيا محطة رادار لمنظومة الدرع الصاروخية. واختلفتا في نهج التعامل مع إيران وأفغانستان. وأخيرًا التعامل مع القضية السورية.

لقد وصف الباحث طبيعة الصلات بين الدولتين بعلاقة الشراكة. فالدول التي تتسم بهذه الميزة تشارك في مجال معين وتتنافس في مجال آخر. تتداخل مصالحها السياسية والاقتصادية والعسكرية. وتتعاون من أجل هدف فيه مصلحة لها. وهذا ما يجده متوافرًا في العلاقة بين تركيا وروسيا. لهذا تمركز البحث على ما عدّه المؤلف الثابت في العلاقة. وهو ما سمّاه المصلحة الوطنية. فتعقّب حرص الدولتين على استمرار العلاقة وتوطيدها. وعلى الرغم من الخلافات الكثيرة التي تعترض طريقهما. فإنّ الدولتين لهما مصالح كبيرة مشتركة في الاقتصاد والسياسة. وفي الأمن القومي والأمن الاقتصادي.

معمر فيصل خولي
العلاقات التركية – الروسية
من إرث الماضي إلى آفاق المستقبل
المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

هذا الكتاب يقدم معلومات حديثة ومفيدة عن دولتين لهما تأثير ملموس في السياسة الدولية. وخصوصا في قضايا العالم الاسلامي والعربي. فتركيا دولة مسلمة وكانت إلى زمن قريب مركزا للخلافة الإسلامية. وروسيا هي دولة نووية وعضو دائم في مجلس الأمن الدولي. وصاحبة حق الفيتو في القرارات الدولية. إضافة إلى كونها تضم بين مواطنيها إحدى أكبر الاقليات المسلمة في العالم.

مفاهيم ومصطلحات

مفهوم مرض الإدمان

أ. محمد سعيد التركي

يخلط الكثير من المرضى والعائلات بين تعاطي المخدرات ومرض الإدمان وهذا غير صحيح لأن مفهوم مرض الإدمان أكبر بكثير من مجرد تعاطي المخدرات والدليل على ذلك أن الكثير ممن يتعاطوا المخدرات لا يمكن تشخيص مرض الإدمان لديهم (مثلا شخص يتعاطى المخدرات في المناسبات فقط مثل الأعياد أو الأفراح ولا يوجد أي تدهور في حياته) والعكس صحيح، فهناك بعض الأشخاص يمكن تشخيص مرض الإدمان لديهم على الرغم من عدم تعاطيهم لأي مخدرات (مثلا مدمن إنترنت أو مدمن قمار أو مدمن جنس... إلخ)

ولذلك فإن مرض الإدمان يعتبر سلوك متكرر يؤدي إلى الإعتمادية النفسية والجسدية ويستحوذ على الشخص وعلى حياته مما يؤدي إلى تدهور واضح في حياة هذا الشخص.

وهنا يجب أن نلاحظ أنه بما أن مرض الإدمان أكبر بكثير من مجرد تعاطي المخدرات فإن التعافي من الإدمان أكبر بكثير من مجرد الإمتناع عن المخدرات بل يجب على المريض أن يخوض عملية تغيير شاملة حتى يتعافى من هذا المرض.

قضايا فقهية معاصرة

حكم التعامل مع المصحف المغلوط أو الممزق

الشيخ محمد المنجد

أولاً: إذا تعرض المصحف لبعض التلف والتمزق، وكان بالإمكان إصلاحه وتجليده فهو أفضل وأحسن، ومن أعمال البر التي يؤجر عليها الإنسان.

إلا أن ذلك ليس من الواجبات الشرعية التي تلزم الواقف أو غيره من أفراد الناس، وإنما ينفق عليه من غلة المسجد إن كان للمسجد وقف خاص به ينفق منه على مصالحه، وإلا فالمسئول عن ذلك هو مديريات الأوقاف.

وذلك لأن الأوقاف التي ليس لها غَلة يُنفق عليها من بيت المال.

قال شيخ الإسلام عن نفقة السلاح الموقوف: «إنْ شَرَطَ لَهُ الْوَاقِفُ نَفَقَةً وَإِلَّا كَانَ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ كَسَائِرِ مَا يُوقَفُ لِلْجِهَاتِ الْعَامَّةِ كَالْمَسَاجِدِ، وَإِذَا تَعَذَّرَ مَنْ يُنْفِقُ عَلَيْهِ بِيعَ، وَلَمْ يَكُنْ عَلَى الْوَاقِفِ الْإِنْفَاقُ عَلَيْهِ» انتهى «مجموع الفتاوى»(31 / 235).

وقال في «كشاف القناع»(4/265): « وَإِنْ كَانَ الْوَقْفُ عَلَى غَيْرِ مُعَيَّنٍ كَالْمَسَاكِينِ فَنَفَقَتُهُ فِي بَيْتِ الْمَالِ، وَإِنْ تَعَذَّرَ بِيعَ».

ثانيا: إذا صار المصحف الموقوف في حال يتعذر معها الانتفاع به بسبب تلفه وتمزقه، ففي هذه الحال يجوز إتلافه.

وللعلماء في كيفية إتلافه قولان:

فمنهم من يرى أن يدفن في التراب، وهو مذهب الحنفية والحنابلة.

قال الحصكفي من فقهاء الحنفية: «الْمُصْحَفُ إذَا صَارَ بِحَالٍ لَا يُقْرَأُ فِيهِ: يُدْفَنُ؛ كَالْمُسْلِمِ» انتهى من «الدر المختار» (1/191).

وعلق على ذلك صاحب الحاشية بقوله: «أي يجعل في خرقة طاهرة، ويدفن في محل غير ممتهن، لا يوطأ» انتهى

وقال البهوتي من الحنابلة: «وَلَوْ بَلِيَ الْمُصْحَفُ أَوْ انْدَرَسَ دُفِنَ نَصًّا، ذَكَرَ أَحْمَدُ أَنَّ أَبَا الْجَوْزَاءِ بَلِيَ لَهُ مُصْحَفٌ فَحَفَرَ لَهُ فِي مَسْجِدِهِ فَدَفَنَهُ» انتهى «كشاف القناع»(1/137).

ومن أهل العلم من يرى أن المصحف التالف يُحرق بالنار، وهو قول المالكية والشافعية، وذلك اقتداءً بعثمان عندما أمر بحرق المصاحف الموجودة في أيدي الناس بعد جمع المصحف الإمام.

وقصة حرق عثمان للمصاحف رواها البخاري في صحيحه (4988) وما جاءِ فيها: (... فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ ...وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنْ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ).

وعن مصعب بن سعد قال: «أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف، فأعجبهم ذلك، لم ينكر ذلك منهم أحد» رواه أبو بكر بن أبي داود في «كتاب المصاحف»(41).

قال ابن بطال: «وفى أمر عثمان بتحريق الصحف والمصاحف حين جمع القرآن جواز تحريق الكتب التي فيها أسماء الله تعالى، وأن ذلك إكرام لها، وصيانة من الوطء بالأقدام، وطرحها في ضياع من الأرض «انتهى من» شرح صحيح البخاري»(10/226).

قال السيوطي: «إذا احتيج إلى تعطيل بعض أوراق المصحف لبلى ونحوه، فلا يجوز وضعها في شق أو غيره؛ لأنه قد يسقط ويوطأ، ولا يجوز تمزيقها لما فيه من تقطيع الحروف وتفرقة الكلم، وفي ذلك إزراء بالمكتوب ... وإن أحرقها بالنار فلا بأس، أحرق عثمان مصاحف كان فيها آيات وقراءات منسوخة ولم ينكر عليه « انتهى «الإتقان في علوم القرآن»(2/1187).

ولكل من القولين - القول بالدفن والإحراق - وجه . ولذلك أي الأمرين فعل الإنسان فلا حرج عليه إن شاء الله تعالى ، وإن كان القول بالإحراق أولى لثبوته عن الصحابة رضي الله عنهم .

إعجاز

الإعجاز العلمي في تحريم لحم الخنزير

د: حنفى محمود مدبولى

حرم الله عز وجل لحم الخنزير وذلك من قول الله تعالى: {قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (الأنعام:145) .

وبين ربنا عز وجل وهو العليم الخبير أن العلة فى تحريم لحم الخنزير هي(إنه رجس) أي نجس، ضار ومؤذ ونتن، وهذه علة ذاتية قائمة لا تنفك عن لحم الخنزير أبدا . وهذا يبين أن العلة فى التحريم ليست عارضة أو مكتسبة. والعلة العارضة كأكله القاذورات والقمامة وهذا يحدث فى بعض البلدان دون غيرها لأن الغرب يطعمون الخنازير أعلافا طيبة ويربونها فى حظائر نظيفة مغلقة ومكيفة وهنالك تنتفي هذه العلة العارضة. كما أن العلة أيضا ليست مكتسبة تزول بزوال سببها كإصابته ببعض الأمراض الطفيلية والبكتيرية والفيروسية لأن كل هذه الأمراض مكتسبة ومن الممكن السيطرة عليها إما بالعلاج بالمضادات الحيوية ضد مسببات هذه الأمراض أو باستخدام اللقاحات وهي الآن شائعة وتستخدم على نطاق واسع وبذلك تنتفي هذه العلل المكتسبة. وبإنتفاء العلة العارضة أو العلة المكتسبة ينتفي الحكم وهذا تكذيب لكتاب الله تعالى الذي يتلى إلى أن تقوم الساعة. وبذلك تبقى العلة الذاتية التى لا تنفك عن لحم الخنزير في كونه نجساً وضاراً ومؤذياً لمن يأكله هي الأصل فى بقاء الحكم الشرعي.

وقد تحققت نجاسة لحم الخنزير كما تحقق الضرر من أكل لحمه من خلال الأبحاث العلمية العديدة وهذه بعض نتائجها:

1. أن الخنزير حيوان سبعي له أنياب يأكل الجيف والفئران ولو سمحت له الفرصة لأكل الأطفال لأكلها وهذا عكس الأنعام تماما فهي بدون أنياب ولا تتغذى إلا على العشب والكلأ فقط.

2. أن عدم وجود انزيمي-Xanthin oxidase &Uri case فى بلازما الخنزير وقلة وجوده فى الكليتين يجعله يحتفظ بكمية كبيرة من حمض البوليك فى أنسجته، فالخنزير يتخلص من 2% فقط من هذا الحمض والباقي يختزن فى جسده وهذا عكس الأنعام فهي تتخلص من حمض البوليك بكميات كبيرة لوجود (Xanthin oxidase في بلازما الأبقار وهو يقوم بتكسير حمض البوليك إلى آلنتوين والذى يفرز فى بول الأبقار بكميات عالية جدا وبالتالى تتخلص الأبقار منه عن طريق البول وينقى الدم منه وبالتالي اللحم فيكون لحم الأبقار طاهرا طيبا . كما يوجد فى بلازما الأغنام انزيم اليوريكاز (Uricase) والذي يقوم بتكسير حمض البوليك وتتخلص الأغنام منه عن طريق الكليتين مما يجعل لحم الأغنام أيضا طاهرا طيبا.

3. أن كثرة وجود حمض البوليك فى دم ولحم الخنزير دليل على نجاسته ولهذا وصفه ربنا عز وجل بأن رجس.

4. أن كمية انزيم اليوريكاز فى كلى الأبقار حوالي ستة أضعاف الموجود في كلى الخنازير.

5. أن الخنزير بطبعه الخبيث يأكل روثه المختلط ببوله وما به أيضا من حمض البوليك يجعل تراكم هذا الحمض في لحمه بكميات كبيرة تضر بصحة الإنسان وهذا يدل على نجاسة لحمه كما بين ربنا عز وجل فى علة التحريم للحم الخنزير وهي أنه رجس وهذا من الإعجاز العلمي لهذه الآية ولتحريم لحم الخنزير.

6. أن الخنزير يحتوي على 50% من لحمه دهنيات وأن هذه الدهنيات منها 38% دهون مشبعة ترای جلسريد ولا يستطيع الإنسان هضمها بينما الأبقار تحتوى على 6% فقط من الدهون وهي سهلة الهضم والأغنام تحتوي على 17% دهون أيضا سهلة الهضم وهذا يدل أيضا على الضرر المحقق من تناول لحم لخنزير.

7. أن الخنزير يحتوي على كميات عالية من هرمونات النمو وهي تسبب ستة أنواع من السرطانات بينما تفتقر الأنعام إلى هذه الهرمونات مقارنة بالخنزير وهذا أيضا ضررا آخر محققا من تناول لحم الخنزير وعلة ذاتية على التحريم.

8. أن لحم الخنزير يحتوي على كميات كبيرة من الكبريت على عكس الأنعام وهذه علة أخرى ذاتية لتحريم لحم الخنزير.

9. أن لحم الخنزير يحتوي على كميات كبيرة من الهستامين والإميدازول المسبب للحساسية واكزيما الجلد لمن يأكله بينما لحم الأنعام لا تحتوى على هذا الهرمون.

10. وأن نسبة الكوليسترول في لحم الخنزير خمسة عشر ضعفاً لما فى البقر، ولهذه الحقيقة أهمية خطيرة لأن هذه الدهنيات تزيد مادة الكوليسترول في دم الإنسان، وهذه المادة عندما تزيد عن المعدل الطبيعي تترسب في الشرايين، ولاسيما شرايين القلب، وتسبب تصلب الشرايين وارتفاع الضغط، وهو السبب الرئيسي في معظم حالات الذبحة القلبية». وهذه أضرار شديدة بصحة الإنسان.

11. وتعتبر هذه الأضرار علل ذاتية للتحريم ويبقى

الحكم ببقاء العلة ويكون الخنزير محرما على التأبيد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

من خلال نتائج هذا البحث يتضح بيان الإعجاز العلمي فى حرمة لحم الخنزير حيث إن كل هذه الأضرار الموجودة في لحم ودهن ودم الخنزير تجعل الخنزير محرما لذاته وليس لعلل عارضة أو مكتسبة وهذا الذي بينه ربنا عز وجل من قوله (فإنه رجس) أي نجس، ضار ومؤذ ونتن ومن هنا يتضح وجه الإعجاز العلمى فى هذا النص القرآني لحرمة لحم الخنزير وصدق الله العظيم الحكيم العليم الخبير الذى بلغ رسوله النبي الأمي بتحريم لحم الخنزير كما بلغ الرسل الكرام من قبله بحرمة هذا الحيوان القذر النجس.

خطبة الأسبوع

أ. عمّار رقبة الشُّرفي

رجب شهر الله الحرام

الحمدلة:

الحمدُ للّهِ الّذي فضّلَ الأشهرَ الحرامَ على سائرِ شهورِ العامِ، وخصّها بمزيدِ الإجلالِ والإكرامِ.

الشهادتان:

رجب وإخوانه من أشهر الله الحرام، وفضائلهم معلومة عند الخاص والعام:

قال الله تعالى: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ}[التوبة: 36].

وثبت في الصّحيحين عن سيّد المرسلين صلى الله عليه وسلم أنّه قال: «السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ: ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ».

المعصية في رجب ليست كغيرها من الشهور فليكثر المسلم من الطاعاتِ وليجتنب المعاصيَ والمنكرات:

قال سبحانه: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ} [البقرة: 217].

ويقول ابن عباس في تفسير قوله تعالى: {فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ}-كما روى الطّبريّ في (تفسيره)-: «في كلِّهنّ، ثمّ اختصّ من ذلك أربعةَ أشهرٍ فجعلهنّ حراماً، وعَظَّم حُرُماتِهنّ، وجعل الذنبَ فيهنّ أعظمَ، والعملَ الصالحَ والأجرَ أعظمَ».

وقال قتادة رحمه الله قال: «إنّ الظلمَ في الشهرِ الحرامِ أعظمُ خطيئةً ووزراً من الظلم فيما سواهُ، وإنْ كانَ الظلمُ على كلِّ حالٍ عظيماً، ولكنَّ اللّهَ يُعظِّمُ من أمرِهِ ما شاء».

رجب في الشعر العربي:

بَيِّضْ صَحِيفَتَكَ السَّوْدَاءَ فِي رَجَبٍ
بِصَالِحِ الْعَمَلِ الْمُنْجِي مِنَ اللَّهَبِ
شَهْــرٌ حَرَامٌ أَتَى مِنْ أَشْهُرٍ حُرُمٍ
إِذَا دَعَا اللَّهَ دَاعٍ فِيــهِ لَمْ يَـخِبِ
طُــوبَى لِعَبْدٍ زَكَى فِيــهِ لَهُ عَمَلٌ
فَكَفَّ فِيهِ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالرِّيَبِ

الدعاء:

فاللّهمّ بارك لنا في رجب وشعبانَ، وبلّغنا رمضانَ، ونحن في أمنٍ وأمانٍ، وسلامةٍ وإسلامٍ.

سورة النساء

مختصر تفسير ابن عاشور (214)

{لَّكِن اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً}(النساء/166) :

جاء هذا ردًّا علَى تَعنت أهل الكتاب ومكابرتهم عن أن يشهدوا بصدق الرسول وبصحة إنزال القرآن من لدن الله تعالى، وكان ذلك يحزن الرسول صلى الله عليه وسلم فأتى هذا الاستدراك بأنه إن لم يشهد أهل الكتاب بذلك فإن الله يشهد والملائكة، ومن أصدق من الله شاهدا، وشهادة الملائكة تأكيد لشهادته تعالى، وأنه أنزله بعلمه أي متلبّسا بعلمه معجزا بلفظه ومعناه للبلغاء من أهل اللسان، وللعلماء من أهل الحقائق العليا، والباء في قوله: {وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً} للتأكيد.

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلاَلاً بَعِيداً}(النساء/167) :

هذه خلاصة للكلام السابق في الرد على اليهود، وصدهم عن سبيل الله أي أعرضوا عن سبيله، وهو الإسلام، أو أنهم صدوا غيرهم، ومعنى الضلال هنا الكفر ووصف بالبعيد لشدته وبلوغه الغاية في الضلال، كالذي يضل في الصحارى فيبعد به التيه عن المعمور من الأرض.

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيراً}(النساء:168/169) :

بينت هاتان الآيتان جزاء ذلك الضلال البعيد الشديد، والظلم الذي ارتكبه هؤلاء لأنفسهم وظلمهم للنبي صلى الله عليه وسلم، والمسلمين بإخراجه وإخراجهم من وطنهم وتأليب الناس عليه، ومصادرتهم للأموال، وسوء معاملتهم.

{لَمْ يَكُنِ اللّه لِيَغْفِرَ لَهُمْ} هذه صيغة جحود، تقتضي تحقيق النفي للغفران إن داموا على كفرهم، ولا يهديهم طريقا موصولا للجنة وإنما يساقون إلى جهنم لكفرهم وظلمهم فلا تتيسر لهم أسباب الهداية، لإصرارهم على الكفر والضلال، وأن مصيرهم إلى جهنم يسير على الله، فلا يعجزه ذلك، إذ هم مخلوقاته الذين اختاروا الكفر وأصروا عليه.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُواْ خَيْراً لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً}(النساء/170) :

بعد خطاب أهل الكتاب توجه الخطاب هنا إلى الناس جميعا، فكان مقصد ذلك عموم البشر، ويمكن أن يُقصد بالناس المشركون، وهو الغالب في القرآن في دلالته على المشركين، ويقصد بالحق القرآن وشريعته وهذا الخطاب ترغيب لهم في الإيمان بهذا الدين الذي جاءهم من ربهم فذلك خير لهم وانتصب «خيرا» لتعلقه بمحذوف لازم الحذف، لكثرة الاستعمال في الكلام، فجرى مجري الأمثال فيما دل على الأمر والنهي من الكلام مثل قوله تعالى:{انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ} (النساء/171) والمحذوف هو «أقصد» أو يكون خيرا، ويرى ابن عاشور أنه منصوب على الحال من المصدر الذي تضمنه الفعل أي آمنوا حال كون الإيمان خيرا، وقد جرى هذا مجرى الأمثال، وشأن الأمثال الإيجاز، ولكن إن بقوا على كفرهم فإن الله غني عن إيمانهم لأن لله ما في السموات والأرض، وأن كفرهم لا يفلتهم من عقاب الله فهم من جملة ما يملك في السموات والأرض.

{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً}(النساء/171) :

هذا الخطاب موجه إلى النصارى خاصة، وخوطبوا بأهل الكتاب إشارة إلى أنهم خالفوا كتابهم، فنهاهم الله عن الغلو في الدين لأنهم غلوا في تعظيم عيسى فألّهوه، وادعوا أنه ابن الله، فكان عندهم ثالث الآلهة.

والغلو تجاوز الحد المعقول، مشتق من غَلْوَة السهم وهي منتهى اندفاعه، ويقصد به إظهار المتدين ما يتجاوز الحد الذي حدده الدين، والغلو هو الأصل لكثير من ضلالهم، فلا يقول المتدين الحقيقي على الله إلا الحق، ولا يجوز الافتراء على الله ما لم ينزل به سلطانا، ولم يأمر به، ومن غلوهم ادعاؤهم أن عيسى ابن مريم ابن الله وإنما هو رسول، وكلمة، وروح فجعلوا الرسالة بنوّة، والكلمة اتحاد حقيقة الألوهية بعيسى في بطن مريم، وجعلوا عيسى ابن الله، وجعلوا معنى الروح الذي كوّن الله به عيسى، فنفخ فيه من روحه أنه من ذاته الإلهية، فهو إله، وإنما عيسى أثر لكلمة الله وهي كن، فالكلمة هي التكوين، فإطلاق الكلمة على التكوين مجاز، وهو تعلق القدرة بالإيجاد المعبّر عنها «بكن» إذ لم يكن تكوينه مثل تكوين الأجنة من أب وأم معا، ومعنى ألقاها إلى مريم أوصلها إليها، ومعنى كون عيسى روح الله أن روحه من الأرواح التي هي عناصر الحياة، ونسبت إلى الله لأنها وصلت إلى مريم بدون تكوّن في نطفة معتادة وبهذا امتاز عن بقية الأرواح فخلقه الله بقدرته، وقيل لما غلبت على عيسى الروحانية، وصف بأنه روح، وقيل المراد بالروح النفخة، والعرب تسمي النفس روحا، والنفخ روحا أيضا.

قال ذو الرمة يرجو من رفيقه أن يوقد نارا بحطب:

فقلت له ارفعها إليك فأحيها
بروحك واقتته لها قيتة قدرا

أي بنفحك، واقتته أي ارفق، وانفخ نفخا خفيفا وأوقد النار بالحطب القليل.

قال أبي بن كعب: روح عيسى من أرواح الله التي خلقها واستنطقها بقوله: {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى} الأعراف/182.

وقد وقع هذا الوصف في الإنجيل وفي كلام الحواريين وصفا لعيسى، وكان هذا الوصف يومئذ مفهوما في لغة الناس، فلما تغيّرت أساليب اللغة والترجمة وساء الفهم تسرب الضلال إلى النصارى، فورد هذا أن الوصفات في القرآن للدلالة على أن ما وقع لدى النصارى في كلام الإنجيل من وصفه بكلمة الله وروح الله ليس في شيء من ذلك ما يؤدي إلى اعتقاد أنه ابن الله، أو أنه إله، وكثيرا ما تؤول الألفاظ على غير تأويلها فتضل الأفهام، وتذهب إلى معاني مخالفة لمعناها الأصلي، وخاصة إذا ترجم النص إلى لغات أخرى كما وقع في الأناجيل والتوراة ففهم الأب مثلا وهو بمعنى الشفيق بالناس الرحيم بهم، على أنه الأب البيولوجي، فجعلوا الله أبا حقيقيا عضويا لعيسى.

التصحيح والتعليل:

مناهج في نماذج[1]

د. محمد عبد النبي

التطور في العلوم والفنون من الحقائق التي لا يماري فيها عاقل، وبين النشأة والمآل مراحل يوقف فيها على كثير من الخلاف والاختلاف، ومن يصاحب المرحلة الأولى له فيها فضيلة السبق والتأسيس، وقد يكون للمتأخر مزية الشرح والتأصيل، وبين الممارسة الميدانية والتأصيل النظري قد تختلف أنظار، وقد ينحاز لكل مرحلة أعلام، ودعوى الإخلاص للمنهج أو الحيدة عنه لا تكاد تفارق علما له أسسه ومعالمه، وعلم الحديث ليس بدعا في ذلك، فلا غرو أن يكتشف القارئ أو المطالع شيئا من ذلك، في ثنايا الأحكام التي تُطلق، أو التبريرات التي تُساق.

أخرج الترمذي (4/ 384) وابن ماجه (2/1140) عن عقبة بن عامر الجهني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تُكرهوا مرضاكم على الطعام، فإن الله تبارك وتعالى يطعمهم ويسقيهم».

ولم يخرج الترمذي وابن ماجه لراويه بكر بن يونس غير هذا الحديث! كما أفاده المزي في تهذيب الكمال(4/233).

وأخرج البزار في البحر الزخار (3/223) الحديث من طريق الوليد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده وقال: «وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن عبد الرحمن إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد».

هذا حديث من الأحاديث التي انفردت بعض كتب السنة بتخريجها، غير أنه ليس من الأصول التي قد يُستغرب ألا يكون قد أخرجها مثل البخاري ومسلم، والإشكال ليس في هذه المسألة، وإنما في اختلاف الحكم على هذه الأحاديث بين مَن تقدّم ومن تأخّر، فالترمذي قال عقب إخراجه: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه» ومع تحسين الترمذي له-الذي لم يقطع العلماء بوجه فيه حين يكون مقرونا بالغرابة -لا نكاد نظفر- في المتقدمين-بمن يحكم بقبول الحديث، تصحيحا أو تحسينا، سوى الحاكم الذي أخرجه وقال عقب إخراجه (4/455): «هذا حديث صحيح الإسناد رواته كلهم مدنيون ولم يخرجاه..». وقد يحاجج البعض بأن هذا من تساهل الحاكم الموسوم به، إذ ما الذي يعنيه قوله عن الرواة بأنهم مدنيون إن لم تثبت وثاقتهم! وقد قال أبو حاتم -فيما نقله عنه ابن حجر في تهذيب التهذيب (1/429)- عن الحديث بأنه باطل، وعن الراوي بكر بن يونس بأنه منكر الحديث، كما ورد في كتاب الجرح والتعديل (2/394) ونفس العبارة قالها البخاري عنه في التاريخ الصغير (2/264) «منكر الحديث» و «نقل ابن القطان عن البخاري قوله: كل من قلت فيه منكر الحديث فلا تحل الرواية عنه، قال ابن حجر في لسان الميزان (1/220): وهذا القول مروي بإسناد صحيح عن عبد السلام بن أحمد الخفاف عن البخاري».

ومع ذلك ذكر ابن حبان هذا الراوي في الثقات! (8/147). وقال العجلي في كتابه معرفة الثقات (1/253): «لا بأس به، وبعض الناس يضعفونهما -يعنى هو وأبوه- وهم الأكثرون..».

ويبدو أن الحاكم استشعر أنّ هناك قدرا من المجازفة بتصحيح السند وفيه بكر بن يونس، فأشار إلى شاهد يقوّي الحديث في نظره فقال: «ورواه علي بن قتيبة الرفاعي ومحمد بن الوليد اليشكري عن مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا». قال البيهقي (9/583) معلقا على حديث مالك هذا: «وهو باطل لا أصل له من حديث مالك». ونقل الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب (1/429) في ترجمة بكر بن يونس عن أبي زرعة قوله: «واهي الحديث، حدث عن موسى بن عُلي بحديثين منكرين، لم أجد لهما أصلا من حديث موسى». وقال ابن عدي في الكامل بعد أن أورد له ثلاثة أحاديث صرّح في أحدها بأنه منكر(2/31): «عامة ما يرويه مما لا يتابع بعضه عليه، وله أيضا غير ما ذكرت (أي من أحاديث) وهو قريب مما ذكرته» أي من حكم، وهي عبارة لا تقال إلا في الضعفاء.

قال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (2/354-355): «وقال ابن أبي حاتم عن أبيه: هذا حديث باطل. وبكر هذا منكر الحديث، كذا قال: باطل! ولا يخلو من مبالغة، فإن بكرا لم يُجمع على ضعفه فضلا عن تركه، فقد قال العجلي فيه: لا بأس به، وذكره ابن حبان في الثقات، وإن كان الجمهور على تضعيفه، فالحق أن حديثه ضعيف إذا لم يوجد ما يشهد له ويقويه، وليس الأمر كذلك هنا لما يأتي له من الشواهد...».

مكتب الفتوى والاستشارات الشرعية

يسر لجنة **"الدعوة والإرشاد والإفتاء"** لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين أن تخصص هذه الأرقام الهاتفية لمجموعة من أهل العلم والفضل المتطوعين لوجه الله للإجابة عن التساؤلات الشرعية:

الدكتور الشيخ محمد بن السايح: -0561785489 **الدكتور الشيخ محمد بوركاب**: -0555497098 **الدكتور الشيخ عبد العزيز بن السايب**: -0555497078 **الدكتور الشيخ محمد هندو**: -0542111874 **الشيخ محمد علي بورويبة** 0557919849: **الشيخ عمار رقبة الشرفي**: -0557540865 **الشيخ كمال أبوسنة**: 0554108178.

وللنساء رقم خاص **للأستاذة فضيلة وعليلي**:0666656729 أو 0556898075.

ملاحظة:

في حال ما طلب السائل رقما ووجده مشغولا فعليه أن يتصل برقم آخر حتى يتواصل مع أحد المشايخ.

الذكرى الـ84 لتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الشلف

نظمت شعبة ولاية الشلف لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، جملة من النشاطات بالمناسبة، وهي نشاطات متنوعة وهادفة.

-1 ندوة نسوية ببلدية أم الدروع يوم 05 ماي 2015 تتضمن محاضرات وتكريم لحافظات القرآن الكريم بعد صلاة الظهر.

-2 حملة للتبرع بالدم ببلدية واد سلي لمدة يوم كامل 05 ماي 2015.

-3 فتح مدرسة قرآنية ببلدية الشلف بعد صلاة العصر يوم 05 ماي 2015.

-4 محاضرات ببعض المساجد بعد صلاة المغرب يوم 08 ماي 2015.

-5 مهرجان احتفالي يوم 09 ماي 2015 صباحا بإحدى القاعات العمومية وسط مدينة الشلف.

-6 16 ماي 2015 ندوة علمية بالمدرسة القرآنية للجمعية ببلدية بني حواء صباحاً.

الدكتــور الشيخ سلامة يعتذر عن المشاركة في ملتقى الشيخين

كان من المفروض أن يكون الدكتور الشيخ يوسف جمعة سلامة خطيب المسجد الأقصى المبارك والنائب الأول لرئيس الهيئة الإسلامية العليا بالقدس ووزير الأوقاف والشؤون الدينية الأسبق لدولة فلسطين أحد المشاركين في الملتقى الدولي للإمامين: عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي، وقد اعتذر فضيلة الشيخ يوسف جمعة سلامة عن الحضور والمشاركة في الملتقى بسبب الإصابة المفاجئة لوالدته ووجودها في العناية المركزة بالمستشفى تمهيدا لإجراء العملية الجراحية لها.

وإذ يأسف الدكتور عبد الرزاق قسوم رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأعضاء المكتب الوطني لتعذر مشاركة الدكتور سلامة في ملتقى الشيخين؛ فإنهم في الوقت نفسه يسألون اللّه أن يحفظ والدته ويرزقها الصحة والعافية ويشفيها شفاءً ليس بعده سقما، ويأخذ بيدها، ويحرسها بعينه الّتي لا تنام، اللهمّ آمين.

عندما كانت بجاية تضيء على الغرب

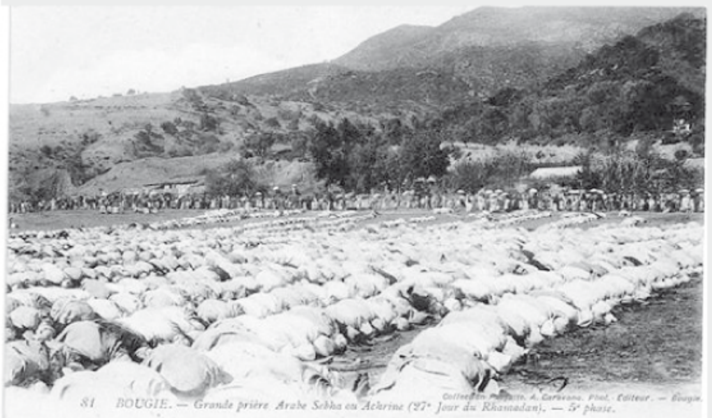
81 BOUGIE. — Grande prière Arabe Sebha ou Achrine (27e Jour du Rhamadan). — 5e phase.
Collection ... A. Caravana. Phot. Editeur. — Bougie.

وجدتُ هذه الصورة في موقع على الانترنت، مكتوب عليها بالفرنسية أنها في «بوجي» يعني الشمعة، كما كان يطلق على الفرنسون، وأن هؤلاء الساجدون يصلون صلاة ليلة 27 من رمضان، ويقصدون ببوجي بجاية.

ويقال أن الفرنسيين يسمونها بوجي لأنها الشمعة التي تضيء عليهم، هل يصدق شبابنا اليوم، انه قبل ثلاثة قرون فقط كان حلم شباب أوروبا أن يزور بجاية للدراسة.

كانت تسمى مكة الصغرى لكثرة العلماء والجامعات والمدارس والمساجد العامرة والمليئة بالعلماء وطلبة العلم من كل حدب وصوب...

هزلت ورب الكعبة

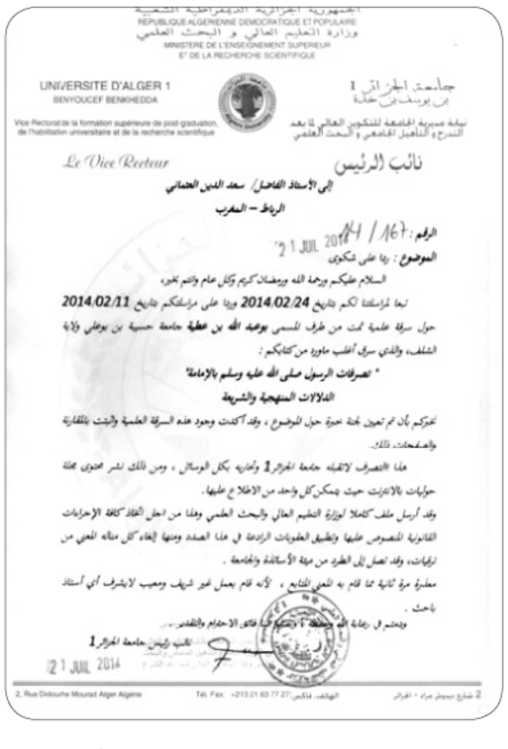

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR
ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

جامعة الجزائر 1
بن يوسف بن خدة
نيابة مديرية الجامعة للتكوين العالي لما بعد التدرج و التأهيل الجامعي و البحث العلمي

UNIVERSITE D'ALGER 1
BENYOUCEF BENKHEDDA
Vice Rectorat de la formation supérieure de post-graduation, de l'habilitation universitaire et de la recherche scientifique

نائب الرئيس
Le Vice Recteur

إلى الأستاذ الفاضل/ سعد الدين العثماني
الرباط – المغرب

الرقم: 14/167
21 JUIL 2014
الموضوع: ردا على شكوى

السلام عليكم ورحمة الله ورمضان كريم وكل عام وانتم بخير،

تبعا لمراسلتنا لكم بتاريخ 2014/02/24 وردا على مراسلتكم بتاريخ 2014/02/11 حول سرقة علمية تمت من طرف المسمى بوعبد الله بن عطية جامعة حسيبة بن بوعلي ولاية الشلف، والذي سرق أغلب مادة من كتابكم :

" تصرفات الرسول صلى الله عليه وسلم بالإمامة"
الدلالات المنهجية والشرعية

نخبركم بأن تم تعيين لجنة خبرة حول الموضوع ، وقد أكدت وجود هذه السرقة العلمية وأثبتت بالمقارنة والصفحات ذلك.

هذا التصرف لاتقبله جامعة الجزائر 1 وتحاربه بكل الوسائل ، ومن ذلك نشر محتوى مجلة حوليات بالانترنت حيث يتمكن كل واحد من الاطلاع عليها.

وقد أرسل ملف كاملا لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي وهذا من اجل اتخاذ كافة الإجراءات القانونية المنصوص عليها وتطبيق العقوبات الرادعة في هذا الصدد ومنها إلغاء كل ماناله المعني من ترقيات، وقد تصل إلى الطرد من مهنة الأساتذة والجامعة .

معذرة مرة ثانية عما قام به المعني المتابع ، لأنه قام بعمل غير شريف ومعيب لايشرف أي أستاذ باحث .

ودمتم في رعاية الله [illegible] فائق الاحترام والتقدير.

نائب رئيس جامعة الجزائر 1
21 JUIL 2014

2, Rue Didouche Mourad Alger Algérie   Tél. Fax: +213 21 63 77 27   الهاتف، فاكس: 27 77 63 21 213+   2 شارع ديدوش مراد - الجزائر

بعد تقديم سعد الدين العثماني، القيادي في حزب العدالة والتنمية المغربي، ووزير الخارجية السابق، لشكوى بسبب تعرضه لسرقة أدبية من طرف احد الأساتذة الباحثين بالجزائر، قدمت جامعة جزائرية اعتذارا لمعالي الوزير.

هذه السرقة التي أعلن عنها العثماني في صفحته على الفايسبوك، هي سرقة علمية منسوبة لأحد الأساتذة الباحثين الجزائريين، قيل أنه قام بـ"قرصنة" أغلب أجزاء كتاب العثماني "تصرفات الرسول بالإمامة"، ونسبها لنفسه ضمن بحث تم نشره في حوليات إحدى الجامعات الجزائرية، وقد اعترفت الجامعة التي ينتسب إليها الأستاذ الباحث، بوجود "جريمة علمية" وقدمت اعتذارها لسعد الدين العثماني.

والعيب والجريمة الأكبر هنا، ليست في مجرد السرقة في ذاتها، وإنما في نشر «البضاعة المسروقة» في مجلة يفترض أنها محكمة، أي أنها تمر على «السيار» كما يقال، والاستهانة بمثل هذا الاحتمال، من قبل السيد «السارق المفترض»، استهانة بالعلم والعلماء والجامعة.. إذ لو سرق في كتاب نشره على القراء ربما لهان الأمر، أما أن يسرق وينشر في مجلة محكمة، موجهة أساسا إلى النخبة من الأساتذة والباحثين، فذلك مبشر بخراب ما بقي في الجامعة الجزائرية من فضل.

صحوة ضمير أم انتهاء مهمة؟

CHARLI
HEBDO

قال الرسام الرئيسي في مجلة «شارلي ـ إيبدو» الفرنسية الساخرة، الأربعاء 29-04-2015، إنه لن يعود أبدا لرسم النبيّ محمد، صلى اللّه عليه وسلم.

وقال في حديث لإحدى» لن أعود لرسم النبي محمد، ولم يعد يهمني الموضوع لقد سئمت»، ولم يكشف الرسام إن كانت خلفيات قراره هذا تعود إلى «صحوة ضمير» تجاه المقدسات وما ينبغي أن تعامل به من اهتمام واحترام وتقدير وتقديس، ام ان المهمة قد انتهت بحسن الأداء وانتهاء المهمة وتحقيق ما يراد تحقيقه.

أقصر خطبة جمعة في التاريخ..

وفقاً لموقع (يمن برس) فقد شهدت محافظة البيضاء اليمنية، أقصرخُطبة لصلاة الجمعة في التاريخ الإسلامي، لم تتعد 12 كلمة، استمرت ثواني معدودة. حيث جاء في الموقع أن الشيخ «يوسف الحميقاني» صعد المنبر وفي أقل من ربع دقيقة وجه كلامه للحوثيين قائلا: "أنتم دخلتم البيضاء بطريقتكم، فواللّه لن تخرجوا منها إلا بطريقتنا.. وأقم الصلاة". وكانت محصلة ذلك 35 قتيلًا من الحوثيين وعشرات الأسرى منهم وقتل قائد الحوثيين في البيضاء.

تعزية

انتقلت إلى رحمة اللّه يوم الاثنين 27 أفريل 2015 والدة أخينا **مقدم مسعود** عضو مكتب بلدية الشلف لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

وبهذه المناسبة الأليمة يتقدم إليه إخوانه في جمعية العلماء بأخلص التعازي سائلين اللّه عز وجل إن يتغمدها بواسع رحمته وأن يلهم ذويها الصبر والسلوان.

إن للّه وان إليه راجعون

إِنّا لله وَإِنّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

تعزيــة

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
شعبة ولاية الشلف
تعزية للسيد والي ولاية الشلف

على اثر وفاة والد السيد والي ولاية الشلف **أبوبكر أبوستة** تتقدم إليه شعبة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لولاية الشلف بأخلص التعازي وأصدق المواساة سائلين اللّه -عز وجل- أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته وان يرزق ذويه الصبر والسلوان.

إن لله وان إليه راجعون

إعــلان

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا
شعبة ولاية الشلف

إحياء الذكرى (84) لتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خطيب المسجد الأقصى المبارك بالقدس الشريف في زيارة إلى ولاية الشلف: يوم 09 ماي 2015 بداية من الساعة الثامنة والنصف (08:30سا) صباحاً بقاعة سينما الجمال (وسط مدينة الشلف).

والدعوة عامة

رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا

أسست في أول شوال 1354 هـ الموافق 27 ديسمبر 1935م
الإسلام ديننا. والعربية لغتنا. والجزائر وطننا.

البصائر

لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الاثنين 15 - 21 رجب 1436 هـ /04 - 10 ماي 2015 العدد: 754 الثمن: 20 دج موقع جريدة البصائر: www.albassair.org / البريد الإلكتروني: info@albassair.org / info.bassair@gmail.com / موقع الجمعية: www.oulama-dz.org

بالمختصر المفيد

إمامان وتجربة راقية في الجهاد والإخاء

أ. كمال أبوسنة

سنوات طويلة مرت على وفاة إمام هذه الديار، ورائد النهضة فيها، الشيخ الرئيس عبد الحميد بن باديس -رحمه الله-...

ورغم طول هذه المدة إلا أن هذا الرجل «الأمة» ما يزال بآثاره يحيا بيننا كأن لم يوسد في التراب، والرجال أعمال، والأعمال عمر ثان لأصحاب النيات الخالصة من دون أصحاب النيات الناقصة.

راقني حديث الإمام العلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي -رحمه الله- عن أخيه الشيخ ابن باديس الذي لم تلده أمه، وزميله في جهاد دعوة جمعية العلماء، الذي خطه يراعه بأسلوبه البليغ في مقال بعنوان «الرجال أعمال: محمد الطاهر بن عاشور وعبد الحميد بن باديس» نشره بالبصائر سنة 1948 جاء فيه: «باني النهضتين العلمية والفكرية بالجزائر، وواضع أسسها على صخرة الحق، وقائد زحوفها المغيرة إلى الغايات العليا، وإمام الحركة السلفية، ومنشئ مجلة «الشهاب» مرآة الإصلاح وسيف المصلحين، ومربي جيلين كاملين على الهداية القرآنية والهدي المحمدي وعلى التفكير الصحيح، ومحي دوارس العلم بدروسه الحية، ومفسر كلام الله على الطريقة السلفية في مجالس انتظمت ربع قرن، وغارس بذور الوطنية الصحيحة، وملقن مبادئها، علم البيان، وفارس المنابر، الأستاذ الرئيس الشيخ عبد الحميد بن باديس، أول رئيس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأول مؤسس لنوادي العلم والأدب وجمعيات التربية والتعليم، رحمه الله ورضي عنه».

لا يخرج مثل هذا الكلام النوراني إلا من قلب أُشرب حب ابن باديس والإخلاص له حيا وميتا رغم أن كاتب المقال بشهادة ابن باديس نفسه لا يقل عنه – إن لم نقل يفوقه – علما وأثرا في نهضة الجزائر، بل وفي العالم الإسلامي، في المجالين العلمي والفكري...

هكذا هو خلق الإمام الحبر محمد البشير الإبراهيمي الرئيس الثاني لجمعية العلماء كما أفصح عنه قلمه في حديثه عن الإمام الرباني عبد الحميد بن باديس، الذي يرجع إليه الفضل في نهضة الأمة والمشيد لا يقل عنه فضلا.

وأحسب أن الإبراهيمي لو دعاه الحق عز وجل إلى جواره الكريم أول الاثنين لكتب الإمام الرئيس نفسه ما كتبه عنه زميله ونائبه في الجهاد والنضال، ورفع له ذكره بما يستحق من إشادة مخلصة منصفة.

لقد عاش رجال جمعية العلماء إخوانا في الله متحابين ولم يكن لهم في الدنيا مطمعا، وما رغبوا هم فيها، وما رغبت هي فيهم، وما وجد الشيطان بينهم مدخلا ليفرق الصف، فيعبدوا الله على حرف...والسر في ذلك بينه الإمام الإبراهيمي في نفس المقال السابق حين قال: «ومن غرائب هذه العصابة التي كان ابن باديس شارة شرفها، وطغرى عزها، أن الشيطان لم يجد منفذا يدخل منه إلى أخوتهم فيفسدها، أو إلى علائقهم فيفصمها، أو إلى محبتهم بعضهم لبعض فينفث فيها الدخل، فعاشوا ما عاشوا متآخين كأمتن ما يكون التآخي، متحابين كأقوى ما تكون المحبة، ولقد كانوا مشتركين في أعمال عظيمة، معرضين لعواقب وخيمة، ومن شأن ما يكون كذلك أن تختلف فيه وجوه الرأي وتشعب مسالكه، فيكثر فيها اللجاج المفضي إلى الضغينة، والانتصار للرأي المفضي إلى الخلاف، خصوصا إذا اشتجرت الآراء في مزلقة الاستعمار التي يرصدها لنا، فو الذي روحي بيده ما كنا نجتمع في المواقف الخطيرة إلا كنفس واحدة، وكنا نفترق – وإن اختلف الرأي – إلا كنفس واحدة، وإني لا أجد لفظا يؤدي هذه الحالة فينا إلا لفظة « إخوان الصفاء» – والله – كنا إخوان صفاء، وما زلنا إخوان صفاء، وسنبقى إخوان صفاء، حتى نجتمع عند الله راضين مرضيين إن شاء الله.

إن لهذه الحالة فينا علة وثمرة: أما العلة فهي أن اجتماعنا كان لله ولنصر دين الله ولتأدية حق الله في عباده، دأبنا في ذلك التعاون على الخير والاستباق إلى الخير، فلا مجال للمنافسة وحظ النفس، وأما الثمرة فهي هذا النجاح الباهر الذي نلقاه في كل أعمالنا للأمة، في تطهير العقول، وفي تصحيح العقائد، وفي استجابة داعي القرآن، وفي تمكين سلطان السنة، وفي صدق التوجه إلى العلم، وفي تشييد المدارس، وفي كثرة الإقبال عليها والبذل لها، وفي كل معالجة بيننا وبين الأمة.

إن هذا من صُنع الله لا مما تصوغه الأهواء النفسية الخبيثة، وما جمعته يد الله، لا تفرقه يد الشيطان».

أتمنى أن يتعلم أبناء باديس والإبراهيمي هذا الدرس من هذين العملاقين، فيسيروا على نهجهما في الحب والصفاء والعمل لله بإخلاص لوجهه الكريم وحده، فما كان لله دام واتصل وما كان لغير الله انقطع وانفصل.

كلمة حق

رحلة الجنوب في عيد العلم

أ.د. عمار طالبي

مضت بنا هذه الرحلة الثانية إلى جنوب الجزائر، إلى تقرت، بدعوة من الأستاذ الدكتور محمد الهادي عيشاوي، حطت بنا الطائرة بعد تأخرها بمطار تقرت، فوجدنا في استقبالنا الأستاذ محمد الهادي عيشاوي وصحبه، واستضافنا أحد نواب الولاية بالمجلس الوطني، فأكرم وفادتنا، واحتفل بقدومنا بوليمة الغداء.

ثم قصدنا بلدية المقارين ولاية ورجلة، فرحبوا بنا أيما ترحيب، وكذلك بلدية جامعة ولاية الوادي، والتقينا برئيس هذه البلدية عبد الباري بوزنادة، والإمام مصباح أوبيش رئيس شعبة جمعية العلماء بسيدي عمران، أما الحاج يعقوب خرفي، فقد أنزلنا منزله من أول يوم إلى نهاية الرحلة، وأكرمنا باستضافته ولطفه، وحضر معنا الحاج صالح كنوز رئيس مجلس أعيان المقارين، وألقينا محاضرة عن ابن باديس وأعماله التربوية العلمية، ولقيت من هذه البلدية ومن بلدية جامعة تكريما حافلا لطيفا، وألقيت بمسجد الإمام مالك درسا في تفسير سورة العصر، ولهذا المسجد لجنة يرأسها عمي السعيد غوفالي، تقوم ببناء هذا المسجد والعناية به، وإمامه طالب المنور بن موسى حفظه الله.

ثم زرنا شعبة جمعية العلماء، ومدرستها القرآنية للبنين، ثم مدرستها الثانية الخاصة بالنساء.

وقد تبرعت إحدى المحسنات بمبنى المدرسة جازاها الله كل خير على هذا التبرع السخي لتعليم القرآن الكريم.

ولا تخلو هذه البلديات من كتاتيب تعلم القرآن للأطفال، ومن مدارس قرآنية.

ثم زرنا مسجدا بصدد البناء تقوم بالعناية ببنائه لجنة من الإخوة، وهبوا أنفسهم لهذا الغرض، وصلينا معهم صلاة العشاء.

وألقينا درسا في قاعة الصلاة بجوار المسجد الذي شرع في بنائه.

ولاحظنا أن الصغار مقبلون على المساجد، ويحضرون الدروس، ويفهمون ما يلقى إليهم بانتباه، وعزيمة، وهذا يبشر بخير، وبأن الأمة قائمة بواجبها في تحفيظ القرآن، وبناء المساجد، والمدارس القرآنية.

وقد أشرت عليهم بالعناية بغرس الأشجار، بما في ذلك النخيل، بأن يغرس كل صاحب بيت شجرة أمام داره، حتى يشعر الناس بوجود الخضرة، وآثارها الجمالية والنفعية، والماء والحمد لله متوفر لهذه الأشجار المثمرة، وغير المثمرة، ومن النوع الذي لا يتطلب سقيا كثيرا، ويتحمل جو الصحراء وحرارتها، وأسفت أن توقف السدّ الأخضر الذي شرع فيه في القرن الماضي، ثم توقف، ويا ليته يعود هذا المشروع الذي يقي الشمال من التصحر الذي يقتحم هذا الشمال بقوة وباستمرار.

التصحر ظاهرة تتقدم يوميا، ويصل مناخها إلى الشمال، فقد وصلت إلى سيدي عيسى، وإلى تبسة، وإلى خنشلة، وإلى قصر البخاري، وإلى غيرها من مناطق الشمال الزراعية، فتحولها إلى أراض بور، يسودها الجفاف، وقلة الغيث.

وقد نبه العلماء والمفكرون إلى خطر التصحر، وتفطن إلى ذلك مالك بن نبي في أوائل القرن الماضي، ونبه إلى خطره.

ولكن توقف السد الأخضر الذي كان يقوم به جنود الخدمة الوطنية زاد التصحر تقدما وهجوما على الشمال.

نرجو أن يتفطن المسؤولون عن هذا الوطن وحمايته، وحماية البيئة في بلادنا من التصحر والجفاف ودمار الأرض الزراعية جزاء ذلك كله للقيام بالواجب.

هذا رجاؤنا، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا.

مع رئيس التحرير

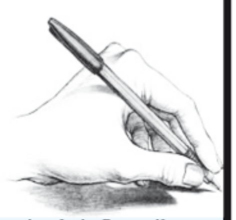

raistahrir@gmail.com

الشيخان

أرادت جمعية العلماء أن تسجل حضورا متميزا بمناسبة «قسنطينة عاصمة الثقافة العربية». وحاولت مد جسورٍ التواصل مع بعض المؤسسات ليكون هذا الحضور مثمراً وفعالاً. ولكن مع الأسف لم تكن هذه المؤسسات، أو بعضها على الأقل في مستوى الحدث ومستوى طموحات جمعية العلماء. فاعتمدت على نفسها وتوكلت على الله، وقررت عقد ملتقى دولي للشيخين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي. وعنْوَنَ الملتقى بهذا العنوان: «الشيخان» الأستاذ محمد الهادي الحسني. وعندما تقرر عقد الملتقى فتحت أبواب الخير والتحق به من أهل الفضل الكثير.

ومصطلح الشيخان إذا أطلق ولم يقيد، فإنما ينصرف رأساً إلى إماميّ الحديث، وصحيحيهما «البخاري ومسلم».

وإذا كان الشيخان البخاري ومسلم، تجمع بينهما أستذة وتلمذة، حيث تتلمذ الإمام مسلم بن الحجاج، على محمد بن إسماعيل البخاري، وفي مجال واحد ومحدد؛ بل في فرع منه، وهو الشرط في قبول الروايّة، فإن ما يجمع بين الشيخين بن باديس والإبراهيمي، يكاد يفضي إلى التطابق التام بينهما، حيث بلغت الخصائص الجامعة بينهما مبلغا، قلمَّا اجتمع في مثليهما، رغم أنهما لم يتتلمذ أحدهما على الآخر، وإنما تفاعلا مع قضية آمنا بها بنفس القدر والمستوى.

فهما من جيل الرواد، الذين غاصوا في الخبرة التاريخية، بحثاً عما يساعدهم على المساهمة في النهوض بأمتهم، فشاركوا في تنمية الأدب العربي وفي الفكر العربي والإصلاح، وفي الدعوة إلى التجديد المبصر للحياة، ونبذ التقليد واجترار الماضي تقليداً ومحاكاة، وأسسوا لتنظيمات لمساعدة المجتمعات العربية والإسلامية في التغلب على أنانيتها المفرطة، فجمعا العلماء في تنظيم واحد أطلقوا عليه اسم «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين». وهما من الأقران، ومفترض أن يجري فيهما ما يجري بين الأقران عادة، من غيرة وحسد وتنافس، ولكنه لم يقع؛ بل العكس هو الذي وقع، حيث أن كلا منهما يبجل الآخر ويقدره، ويدلي بذلك في كلّ مناسبة مواتية، فالشيخ عبد الحميد ابن باديس -رحمه الله- عندما طلب منه أهل تلمسان أن يبقى بينهم وألحوا عليه في ذلك، قال لهم سأرسل إليكم من هو أفضل مني أو كلاما في هذا المعنى، وأرسل إليهم الإبراهيمي الذي بقي هناك، ولم يغادر تلمسان إلا وفيها آلاف من أنصار جمعية العلماء ومؤيديها من العلماء والطلبة والأعيان، وكذلك محمد البشير الإبراهيمي، فقد قال لابن باديس -رحمه الله- سنة 1937، عند تسليمه مفتاح دار الحديث يوم تدشينها، لو علمت في الجزائر؛ بل في العالم من له يد على العلم مثل يدكم، وفضل على الناس مثل فضلكم، لآثرته دونكم لفتح هذه المدرسة، ولكني لم أجد».

تعارف الشيخان وعمر كل منهما 24 سنة في المدينة المنورة سنة 1913، ولم نقف على نص يفيد أنهما يتعارفان قبل ذلك، ولكن الملفت أن ذلك التعارف وفي تلك السن المبكرة لكل منهما، أنجب بذور الفكرة الإصلاحية التي ستنتج بعد ذلك جمعية العلماء بعد 18 سنة من ذلك اللقاء، وتلك السهرات المباركة في المدينة المنورة، وقبل جمعية العلماء، كانت محاولة أخرى قبلها لتأسيس جمعية الإخاء العلمي سنة 1924.

والجامع بين الشيخين جملة من الأمور، منها أنهما ولدا في نفس العام سنة 1889، والعادة في الأقران إلاّ يكونا متماثلين؛ بل متنازعين كما أسلفنا، ومع ذلك كانا متجانسين إلى حد بعيد، ففي الجانب الفكري، يكاد يكون الواحد منهما مطابق للآخر، لما بين الرجلين من تقارب في النظر إلى الأمور وتشخيصها وعلاجها، وهذا التجانس بين الرجلين، حوَّل ما بينهما من تمايز في لغة الخطاب والأسلوب وبناء العلاقات، إلى تكامل وظيفي قل نظيره فيما عاداهما من النّاس، فابن باديس رجل فقه وأصول وإسقاطات شرعية، فيما يتناول ويعالج من أمور عقدية وسلوكية، ومع ذلك لا تجد في ما يكتب حشوا أو لغوا أو فاضل قول، وإنما تجد لغة علمية دقيقة موجزة بليغة، كأنه يزنها بميزان الذهب، بينما الإبراهيمي لم يشتهر بالفقه، وإنما كان رجل بيان، تجد في كلامه المطول درر البلاغة العربية ودقائقها، كلام يقطر بلاغة وفنيات عالية في الكتابة لا يمل، بل لا يشعر قارئه أنه يقرأ لكاتب، وإنما يستمع لأنغام يتفاعل معها بجميع أحاسيسه، لما في الكلام من علوم -وليس علما واحدا-، تربية واتصال وسياسة وفكر؛ بل إنِ هذا الشيخ الذي لم يعرف عنه الاشتغال بالفقه، قد ذكر أمورا من صميم الفقه، ربما غفل عنها الفقهاء، لسبب واحد هو انه صاحب رسالة، وصاحب الرسالة لا يقف عند سطحيات الأمور، وإنما يذهب إلى أغوارها.

فكان الجمع بين هذين الشيخين، كفعل القوة المضاعفة، والجمع بين قوتين عظيمتين، لذلك كانت بصماتهما في الجمعية أغلب من بصمات غيرهما من العلماء الذين لا ينسى فضلهم أيضا.

raistahrir@gmail.com